ضمير المتكلم المنفصل (نحن) واستعمالاته في اللغة العربية، والقرآن الكريم، دراسة لغوية دلالية.

منال هليل سليمان حامد العطوي (*)

الملخص باللغة العربية

عملي في هذا البحث يدور حول ضمير الرفع المنفصل: (نحن) المستخدم للجمع والجماعة، وتعظيم المفرد نفسه، وتفخيم الفرد ذاته، وتركزت الدراسة على هذا الضمير؛ من حيث استعمالاته؛ ومعانيه؛ وحالات وروده؛ ودلالاتها في اللغة العربية الفصحى، والقرآن الكريم.

بدأت البحث أولاً بدراسة الضمير نحن في (اللغة العربية)، وإبراز حالات وروده، وتوضيح مواقعه واستعمالاته، ثم انتقلت إلى دراسته، وكشف أسراره في (القرآن الكريم)، حيث تتبعت مواطنه، وبينت سبب اختياره، وطريقة استخدامه، ودلالاته، وأهم المعاني التي جيء به ليعبر عنها، في الآيات القرآنية، وما ذكره العلماء حوله، بالذهاب إلى أهم وأشهر كتب اللغة والتفسير، واجتهدت في تأويل هذه الآيات، واستنباط بعض الآراء التي أراها جديدة ومفيدة، بعد استقراء ما قيل فيها، لأصل إلى نتائج ملموسة أجابت على تساؤلاتي التي وردت في مقدمة البحث.

جاء هذا البحث في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، المبحث الأول: الضمير (نحن) في اللغة، (ضمير منفصل، ضمير فصل، للاختصاص)، المبحث الثاني: (الضمير نحن في القرآن الكريم)، للتعظيم والتفخيم، والتوكيد، والتوحيد.

وأحسب أني توصلت إلى نتائج علمية ملموسة، تقدم إضاءة مفيدة؛ جديدة، حول هذا الضمير، واستخداماته في العربية، والقرآن الكريم، لم أسبق إليها.. ولله أعلم، وله الحمد والشكر المنة.

(*) قسم اللغة العربية - كلية العلوم والدراسات الإنسانية بالسليل- جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز – المملكة العربية السعودية.

The pronoun of the separate speaker (We) and its uses in Arabic language, and the Holy Quran, a semantic linguistic study

Manal Helil Sulaiman Hamed Alatwi(*)

Abstract

My work in this research revolves around the separate pronoun: (we) used for the plural and the community,

maximize the singular itself, magnification the individual himself, the study focused on this pronoun; in terms of its uses; its meanings; cases of its occurrence; its implications in classical Arabic, and the Holy Quran.

I started the research first by studying the pronoun we in (Arabic language), highlighting the cases of its receipt, clarify its locations and uses,

Then I moved to study it, revealed his secrets in (the Holy Quran), where I traced its compatriot, showed the reason for selection, the way used, its implications, the most important meanings that came to express, in the verses of the Quran, and what the scholars have said about it, by going to the most important and famous books of language and interpretation, worked hard to interpret these verses, devise some opinions that I found it new and useful, after extrapolating what was said, to reach concrete results answered my questions in the introduction of the research.

This research came in an introduction, two researchers, and conclusion.

The first research: The pronoun (We) in language, (separate pronoun, pronoun separate , for specialization).

The second research: (the pronoun we in the Holy Quran), to maximize, aggravation, emphasis, and monotheism

I think that I have reached tangible scientific results, providing useful lighting; new, about this pronoun, its uses in Arabic, and the Holy Quran, has not been before .. Allah knows, and Praise and gratitude and thankful to Allah.

(*) Arabic language department - College of Science and Humanities in Salil - Prince Sattam bin Abdul-Aziz University- Saudi Arabia.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد:

فقد كانت لدي رغبة في أن أقدم للقارئ، والباحث العربي، لوحة فنية جميلة من إبداعات لغتنا العربية، ونموذجا فريدا، من نماذجها، يدلل على متانة هذه اللغة؛ ورصانتها؛ وقوتها؛ وكمالها وجمالها، وأصالتها، وحسن خلقها الرباني..

والمعروف أن أكثر لغة في العالم اعتنى بها أهلها، ونَظّر لها علماؤها، ووضعوا لها القواعد، هي اللغة العربية، لارتباطها بالقرآن الكريم، والدّين الإسلامي القويم، الذي نزل بلسان عربي مبين، وعلى قلب نبي عربي أمين، وعلى أمة الفصاحة والبلاغة والبيان... فاجتمع العلم بالعبادة، مع عظمة هذه اللغة وإعجازها.

وحديثنا في هذا البحث سينحصر حول ضمير الرفع المنفصل: (نحن) المستخدم للجمع والجماعة، وتعظيم المفرد، وتفخيم الذات، من حيث استعمالاته؛ ومعانيه؛ وحالات وروده؛ ودلالاتها في اللغة العربية الفصحى، والقرآن الكريم.

وسنبدأ أولاً بمناقشه ضمير العظمة نحن بين أقرانه في اللغة، وبيان حالاته، وتوضيح مواقعه واستعمالاته، ثم ننتقل إلى بيان أسراره في أهم وأعظم كتاب نزل في اللغة العربية، كلام الله جل جلاله: (القرآن الكريم)، ونقوم بتتبع أماكن وروده، ومعرفة سبب اختياره، وطريقة استخدامه، ودلالاته، وأهم المعاني التي جيء به ليعبر عنها، من خلال الاطلاع على ما قاله المفسرون، في الآيات القرآنية، وما ذكره العلماء حوله، بالذهاب إلى أهم كتب اللغة والتفسير، وأشهرها.

وسنقوم بدراسة أهم هذه الآيات، ونقف عليها، شرحا وتفسيرا وتأويلاً، لنستخرج منها أهم المعاني والدلالات التي جاء بها هذا الضمير، لنصل إلى نتيجة تجيب على أسئلتنا كلها:

كم آية ورد بها هذا الضمير ؟

كيف استخدم القرآن الكريم الضمير نحن ؟

ما هي المعاني والدلالات التي جاء بها؟

ولماذا يستخدم القرآن الكريم صيغة الجماعة نحن؟ وكيف؟ ومتى؟ ولماذا؟.

وكذلك ورود إنّا، ونا مقترنان به ؟ ومجاورتان له، وعلاقتهما به؟

ومتى يستخدم صيغة الإفراد أنا؛ أو إنّي؛ أو إنّني؟ وكيف؟، وهل هذه الاستخدامات لها ضابط يضبطها؟ أم هي بلا ضابط، وليس بينها رابط؟. ثم نسجل أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

أسأل الله العظيم، أن يوفقنا لما يحب ويرضى، وييسر لنا سبل الوصول إلى غايتنا، ويأخذ بيدنا للخروج بنتائج علمية ملموسة، تفيد الباحث اللغوي، والقارئ العربي، وتقدم إضاءة مفيدة؛ جديدة، في هذا الضمير، واستخداماته في العربية، وتفتح بابا جديدا للبحث العلمي؛ لم يفه الباحثون حقه، ولم يعطوه ما يستحق من جهد، فنقوم بالمهمة، ونفوز بالغنيمة، ونحقق الغاية، ونصل إلى النهاية التي ترضي، والله الموفق..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

أ. منال العطوي

المبحث الأول

الضمير (نحن) في اللغة

١. نحن: ضمير منفصل:

هذا باب من أبواب النحو والصرف واللغة، قبل كل شيء، وقد استخدمه القرآن الكريم والحديث النبوي، وبقية المستخدمين، بما جاء به النحو أولاً، ومن ثم حدثت بعض إضافات لاحقة في الدلالة، ولكن جذورها الأصلية في النحو والصرف واللغة، وهي تستمد منه حياتها ونماءها، وما يطرأ عليها من تغير وتطور في الدلالة واختلاف في المعنى.

جاء في كتاب سيبويه ما يأتي: (هذا باب علامات المضمرين للمرفوعين):

اعلم أن المضمر المرفوع إذا حدّث عن نفسه؛ فإن علامته أنا، وإن حدّث عن نفسه؛ وعن آخر قال: نحن، وإن حدث عن نفسه؛ وعن آخرين قال: نحن.

ولا يقع أنا في موضع التاء التي في فعلت، فلا يجوز أن تقول فعل أنا، لأنهم استغنوا بالتاء عن أنا، ولا يقع نحن في موضع نا، التي في فعلنا، لا تقول فعل نحن.

وأما المضمر المخاطب فعلامته إن كان واحداً: أنت، وإن خاطبت اثنين فعلامتهما: أنتما، وإن خاطبت جميعا فعلامتهم أنتم.[١]

وَافْتِتَاحُ الْجُمْلَةِ بِضَمِيرِ الْعَظَمَةِ، لِلتَّنْوِيهِ بِالْخَبَرِ، كَمَا يَقُولُ كِتّابُ «الدِّيوَانِ»: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُ بِكَذَا.

والضمائر كلها لا تخلو من إبهام وغموض- سواء أكانت للمتكلم، أم للمخاطب، أم للغائب - فلا بد لها من شيء يزيل إبهامها، ويفسر غموضها.

فأما ضمير المتكلم والمخاطب فيفسرهما وجود صاحبهما وقت الكلام؛ فهو حاضر يتكلم بنفسه، أو حاضر يكلمه غيره مباشرة.[٢]

و"ألفاظ الضمائر كثيرة؛ فهناك ضمائر الرفع المنفصلة.... أما ضمائر الرفع

---

[١] سيبويه، الكتاب الجزء: ٢، ص:٣٥٠، أبو بشر؛ عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، سيبويه؛ ت: ١٨٠هـ، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت،١٤٠٨- ١٩٨٨، وانظر: أصول النحو لابن السراج ج٢، ص ١١٦-١١٧

[٢] عباس حسن، النحو الوافي، ج١ ص. ٢٢٦. ، ت: ١٣٩٨هـ، دار المعارف، مصر الطبعة الثالثة.

المنفصلة فهي : أنا للمتكلم نحو: {وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى}طه١٣.

ونحن المتكلم مع غيره نحو : {بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ }الواقعة٦٧.

أو للواحد معظما نفسه كقوله تعالى: {نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ}الواقعة٥٧،[١].

وأما ضمائر الرفع المتصلة... فهي: نا للمتكلم مع غيره، أو للمتكلم المفرد معظما نفسة، عائدا إياها كالجماعة[٢] "

وجاء في كتاب الوافي في النحو: وينقسم المنفصل بحسب مواقعه من الإعراب إلى قسمين، أولهما: ما يختص بمحل الرفع، وثانيهما: ما يختص بمحل النصب.

فأما الذي يختص بمحل الرفع [فاثنا عَشَر]، موزعة بين المتكلم، والمخاطب، والغائب، وللمتكلم ضميران، "أنا" للمتكلم وحده، و"نحن" للمتكلم المعظِّم نفسه، أو مع غيره. "و"أنا" هو الأصل، و"نحن" هو الفرع"[٣].

وجاء في كتاب شرح الأجرومية: (هذا ضمير المتكلم، منفرداً (أنا)، ومع غيره (نحن)، أو المعظم نفسه يقول: (نحن)، أو المريد تأكيد الخبر يقول: (نحن)، فإما أن يكون جمعاً، أو معظماً لنفسه يقول: (نحن)، أو يكون مؤكداً لكلامه، ولو كان واحداً غير معظمٍ لنفسه.

والعرب تؤكد فعل الواحد بضمير الجمع، كما قال الإمام البخاري - رحمه الله تعالى، في تفسير: { إِنَّا أَنزَلْنَاهُ ..}، القدر١. في صحيحه[٤].

جاء في معاني القرآن للفراء: ورُبّما ذهبت العرب بالاثنين إلى الجمع، كما يُذهَبُ بالواحِدِ إلى الجمع، ألا ترى أنك تُخاطب الرجل فتقول: ما أحسنتم، ولا أجملتم، وأنت تريده بعينه، ويقول الرجل لِلْفُتْيا يُفتي بِهَا: نحن نقول: كذا وكذا، وهو يريد نفسه.

---

(١) الدكتور فاضل السامرائي، معاني النحو،ج١، ص ٤٣-٥٦، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٤م

(٢) الرضي شرحه علي الكافية، ج ٢- ص ٤١٧. تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، بن غازي، ط٢، ١٩٩٦م.

(٣) عباس حسن، الوافي في النحو: ج١، ص: ٢٢٦.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير ، دمشق – بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢٣، ٢٠٠٢م، باب التفسير ، ص ١٢٦٤.

ومثل ذلك قوله تعالى فى سورة ص: {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ}ص٢١، ثُمَّ أعاد ذكرهما بالتثنية إذ قَالَ: {إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاء الصِّرَاطِ}ص٢٢، [١].

وجاء في كتاب بغية الإيضاح: (والحق أن ضمير المتكلم يؤتى به في مقام الفخر ونحوه؛ لما فيه من الإشعار بالاعتداد بالنفس).[٢]

وجاء في الهمع: فالهمزة للمتكلم مُفردا، نَحْو أُكْرِم، وَالنُّون لَهُ جمعاً، نُكرم، أَو مُفرداً مُعظما نَفسه[٣] نَحْو: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ }يوسف٣، الكهف١٣.

وجاء في شرح التسهيل، فمنه "نا" للمتكلم المعظم نفسه، أو المبين كونه مشارَكا بواحد أو أكثر. وإلى هذا أشرت بقولي "نا في الإعراب كله".[٤]،[٥].

وجاء في كتاب الأصول في النحو لابن السراج، ما يأتي: (أما علامة المرفوعين، فللمتكلم أنا.. وإن حدّث عن نفسه؛ أو عن آخر؛ قال: نحن، وكذلك إن تحدث عن نفسه أو عن جماعة قال: نحن.)[٦].

---

[١] الفراء، أنظر معاني القرآن، ج٢، ص: ٤٠١- ٤٠٢، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، ت: ٢٠٧هـ،عالم الكتب، ط٣، بيروت ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

[٢] عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج١، هامش ٤، ص ٧٦، ت: ١٣٩١هـ ، مكتبة الآداب، ط:١٧ سنة:١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م..

[٣] جلال الدين السيوطي، ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج:١، ص: ٢٠٢. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين ت: ٩١١هـ ، تحقيق: أحمد شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨م.

[٤] ابن مالك، شرح تسهيل الفوائد، ج:١، ص: ١٢١-١٢٢، محمد بن عبد الله، الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، ت: ٦٧٢هـ، تح: د. عبد الرحمن السيد، د.محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، ط:١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

[٥] ابن مالك، انظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ج١، ص ١٤، محمد بن عبد الله، الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، ت: ٦٧٢هـ ، تح: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

[٦] ابن السراج، الأصول في النحو، ج:٢، ص: ١١٦-١١٧، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي، ت: ٣١٦هـ، تح: عبد الحسين الفتلي، ط٣، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.

وجاء في مغني اللبيب:

٨٥٦ - (نَحن بِمَا عندنَا وَأَنت بِمَا ... عنْدك رَاض والرأي مُخْتَلف)[١].

وَقد تكلّف بَعضهم فِي الْبَيْت، فَزعم أَن نَحن للمعظم نَفسه، وَأَن رَاض خبر عَنهُ، وَلَا يحفظ مثل نَحن قَائِم، بل يجب فِي الْخَبَر الْمُطَابقَة نَحْو: {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ }الصافات١٦٥، {وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ}الصافات١٦٦، وَأما {حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ}المؤمنون٩٩، فأفرد ثمَّ جمع لِأَن غير الْمُبْتَدَأ وَالْخَبَر لَا يجب لَهما من التطابق مَا يجب لَهما ذكر أَمَاكِن من الْحَذف؛ يتمرن بهَا المعرب.[٢].

وجاء في تفسير ابن عاشور:

وفي قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً{٢٣} فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً{٢٤} الإنسان، يُفِيدُ مُفَادَ الْقَصْرِ؛ إِذْ لَيْسَ الْحَصْرُ وَالتَّخْصِيصُ؛ إِلَّا تَأْكِيدًا عَلَى تَأْكِيدٍ"

"وَتَأْكِيدُ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ بِضَمِيرٍ مُنْفَصِلٍ فِي قَوْلِهِ: إِنَّا نَحْنُ؛ لِتَقْرِيرِ مَدْلُولِ الضَّمِيرِ، تَأْكِيدًا لَفْظِيًّا لِلتَّنْبِيهِ عَلَى عَظَمَةِ ذَلِكَ الضَّمِيرِ، لِيُفْضِيَ بِهِ إِلَى زِيَادَةِ الِاهْتِمَامِ بِالْخَبَرِ، إِذْ يَتَقَرَّرُ أَنَّهُ فِعْلُ مَنْ ذَلِكَ الضَّمِيرَانِ لَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَفْعَلُ إِلَّا فِعْلًا مَنُوطًا بِحِكْمَةٍ، وَأَقْصَى الصَّوَابِ.

وَهَذَا مِنَ الْكِنَايَةِ الرَّمْزِيَّةِ، وَبَعْدُ فَالْخَبَرُ بِمَجْمُوعِهِ مُسْتَعْمَلٌ فِي لَازِمِ مَعْنَاهِ وَهُوَ التَّثْبِيتُ وَالتَّأْيِيدُ، فمجموعه كِنَايَة، ومزية.

وَإِيثَارُ فِعْلِ نَزَّلْنا الدَّالِّ عَلَى تَنْزِيلِهِ مُنَجَّمًا، آيَاتٍ وَسُوَرًا، تَنْزِيلًا مُفَرَّقًا إِدْمَاجٌ لِلْإِيمَاءِ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، الَّتِي أَوْمَأَ إِلَيْهَا تَأْكِيدُ الْخَبَرِ بـ (إِنَّ)،

---

[١] هذا البيت نسبه ابن هشام اللخمي، وابن بري، إلى عمرو بن امرئ القيس الأنصاري، ونسبه غيرهما - ومنهم العباسي في معاهد التنصيص ص٩٩- إلى قيس بن الخطيم أحد فحول الشعراء في الجاهلية، وهو الصواب، وهو من قصيدة له مطلعها: رد الخليط الجمال فانصرفوا... ماذا عليهم لو انهم وقفوا. شرح الإمام الفارضي على ألفية بن مالك.

[٢] ابن هشام، مغني اللبيب، عن كتب الأعاريب، ج:٢، ص: ٧١٤، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ت: ٧٦١هـ، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

وَتَأْكِيدُ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ بِالضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلِ، فَاجْتَمَعَ فِيهِ تَأْكِيدٌ عَلَى تَأْكِيدٍ' وَذَلِكَ".[١].

جاء في الفتاوى الكبرى:

"وَأَمَّا قَوْلُهُمْ التَّكْثِيرُ لِلتَّفْخِيمِ، كَقَوْلِهِ {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}الحجر٩، فَيُقَالُ لَهُمْ هَذَا إنَّمَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي تُصَرِّحُ بِأَنَّ الْمَعْنَى بِذَلِكَ اللَّفْظِ هُوَ وَاحِدٌ، وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ بَيَّنَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ أَنَّهُ وَاحِدٌ، فَإِذَا قَالَ: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ}، {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً }الفتح١. وَقَدْ عَلِمَ الْمُخَاطَبُونَ أَنَّهُ وَاحِدٌ، عُلِمَ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَقْتَضِ أَنَّ ثَمَّ آلِهَةً مُتَعَدِّدَةً.[٢].

وقال أيضاً:

كما أن لفظ (إنا) و(نحن) وغيرهما من صيغ الجمع، يتكلم بها الواحد له شركاء في الفعل، ويتكلم بها الواحد العظيم الذي له صفات تقوم كل صفة مقام واحد، وله أعوان تابعون له؛ لا شركاء له.[٣].

٣.نحن: ضمير فصل:

جاء في كتاب سيبويه: (باب ما يكون فيه هو وأنت، وأنا ونحن وأخواتهن، فصلا):

اعلم أنهن لا يكنّ فصلا إلا في الفعل، ولا يكنّ كذلك إلا في كل فعل الاسم بعده بمنزلته في حال الابتداء، واحتياجه إلى ما بعده، كاحتياجه إليه في الابتداء.

فجاز هذا في هذه الأفعال التي الأسماء بعدها بمنزلتها في الابتداء، إعلاما بأنه قد فصل الاسم، وأنه فيما ينتظر المحدَّث؛ ويتوقعه منه، مما لابد له من أن يذكره للمحدَّث، لأنك إذا ابتدأت الاسم؛ فإنما تبتدئه لما بعده، فإذا ابتدأت فقد وجب عليك مذكور بعد المبتدأ؛ لابد منه، وإلا فسد الكلام، ولم يسغ لك، فكأنه

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير، محمد الطاهر، تفسير سورة الإنسان، ج٢٩، ص ٤٠٢-٤٠٣.الدار التونسية للنشر، تونس، ١٨٨٤م.

[٢] ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، تقي الدين، ج ١٠، ص٣٨٧، ط ١، دار الكتب العلمية. ١٤٠٨-١٩٨٧.

[٣] ابن تيمية،التدمرية، ج١، ص٤٢، تقي الدين، ط ٦، تح: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبه العبيكان – الرياض، ١٤٢١-٢٠٠٠م.

ذكر هو ليستدل المحدَّث أن ما بعد الاسم ما يُخرجه مما وجب عليه، وأن ما بعد الاسم ليس منه. هذا تفسير الخليل رحمه الله.[1].

و"ضمير الفصل يقع بين المبتدأ والخبر، أو ما أصله مبتدأ وخبر.

واشترط الجمهور أن يكون الأول معرفة، وأما الثاني فمعرفة، أو كالمعرفة...

ولوجوده في الكلام أغراض وفوائد:

١- الإعلام بأن ما بعده خبر لا تابع له:... فضمير الفصل قد يفيد بأن ما بعده خبر، لا تابع....

٢- الاختصاص والقصر: قد يأتي ضمير الفصل للدلالة على القصر، وإذا ذهب، ذهب معنى القصر...

٣- التوكيد: ولهذا سماه بعض الكوفيين دعامة، لأنه يدعم به الكلام، أي يقوي ويؤكد٢.

وهو- أي ضمير الفصل - يفيد توكيد معاني القصر المتعددة التي يدخل عليها فهو يفيد:

أ- توكيد القصر الحقيقي: فقد يكون الكلام دالا على القصر، من دون ضمير الفصل، فيأتي ضمير الفصل مؤكدا هذا المعنى....

ب- توكيد القصر الذي على جهة المبالغة: وذلك كأن تقول: زيد الشاعر، فتقصر الشعر عليه مبالغة، كأن ما عداه ليس بشاعر، ثم تؤكد هذا المعنى فتقول: (زيد هو الشاعر).

ج- توكيد معنى المقايسة: وذلك كقولك: الشاعر هو البحتري، لم ترد أن تقصر الشعر عليه، ولكن كأنك قلت: هل سمعت بالشاعر؟ وخبرت معرفته؟ فإن كنت قد عرفته حقا فهو البحتري، وتؤكد هذا المعنى فتقول: الشاعر هو البحتري....

د- توكيد معنى الكمال: ... وهذا النوع في الحقيقة من باب القصر

---

[1] سيبويه، الكتاب، ج:٢، ص ٣٨٩ تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

[2] ابن هشام، مغني اللبيب، ج ٢- ٥٧٠- ٥٧١.

الادعائي. [١].

ويشير عباس حسن إلى مهمة ضمير الفصل؛ فيقول: "فالضمير -هو- وأشباهه يسمى: "ضمير الفصل"؛ لأنه يفصل في الأمر حين الشك؛ فيرفع الإبهام، ويزيل اللبس؛ بسبب دلالته على أن الاسم بعده خبر لما قبله من مبتدأ، أو ما أصله المبتدأ، وليس صفة، ولا بدلا، ولا غيرهما من التوابع والمكملات التي ليست أصيلة في المعنى الأساس، كما يدل على أن الاسم السابق مستغن عنها، لا عن الخبر.

وفوق ذلك كله يفيد في الكلام معنى الحصر والتخصيص، "أي: القصر المعروف في البلاغة"[٢].

تلك هي مهمة ضمير الفصل؛ لكنه قد يقع أحيانًا بين ما لا يحتمل شكًّا، ولا لَبسًا؛ فيكون الغرض منه مجرد تقوية الاسم السابق، وتأكيد معناه بالحصر.

والغالب أن يكون ذلك الاسم السابق ضميرًا، كقوله تعالى: {وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ}القصص٥٨. وقوله تعالى: {كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِم}المائدة ١١٧، وقوله: {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً{٣٩} فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً{٤٠}.

ففي المثال الأول قد توسط ضمير الفصل "نحن" بين كلمتي "نا" و"الوارثين"، مع أن كلمة: "الوارثين" خبر كان منصوبة بالياء، ولا يصح أن تكون صفة، إذ لا يوجد موصوف غير "نا" التي هي ضمير، والضمير لا يوصف. "[٣].

"وإذا كان البصريون يسمونه: "ضمير الفصل" فإن لكوفيين يسمونه بأسماء أخرى؛ تتردد أحيانًا في كتب النحو: فبعضهم يسميه: "عمادًا"؛ لأنه يعتمد عليه في الاهتداء إلى الفائدة، وبيان أن الثاني خبر لا تابع.

وبعضهم يسميه: "دعامة"؛ لأنه يَدْعَم الأول، أي: يؤكده، ويقويه؛ بتوضيح المراد منه، وتخصيصه، وتحقيق أمره؛ بتعيين الخبر له، وإبعاد الصفة،

---

[١] د. فاضل السامرائي، معاني النحو، ينظر ج١، ص ٥٤-٥٥-٥٦

[٢] عباس حسن، النحو الوافي، ج١، ص ٢٤٤.

[٣] المصدر نفسه، ج٢- ص ٢٤٦.

وباقي التوابع وغيرها؛ إذ إن تعيين الخبر يوضح المبتدأ؛ ويبين أمره، لأن الخبر هو المبتدأ في المعنى.

وقد ذكر ابن هشام احتمالية الفصلية والتوكيد والابتداء عند استخدام ضمير نحن، فقال:

" يحْتَمل فِي نَحْو {كنت أَنْت الرَّقِيب عَلَيْهِم} وَنَحْو: {إِن كُنَّا نَحن الغالبين} الفصلية والتوكيد دون الِابْتِدَاء، لانتصاب مَا بعده.

وَفِي نَحْو {وَإِنَّا لنَحْنُ الصافون} وَنَحْو: زيد هُوَ الْعَالم، وَإِن عمرا هُوَ الْفَاضِل، الفصلية والابتداء دون التوكيد، لدُخُول اللَّام فِي الأولى، وَلكَون مَا قبله ظَاهرا فِي الثَّانِيَة وَالثَّالِثَة، وَلَا يُؤَكد الظَّاهِر بالمضمر، لِأَنَّهُ ضَعِيف وَالظَّاهِر قوي".[1].

وقد أشار الدقر إلى فوائد ضمير الفصل، فقال:

"فوائِدُه منها اللَّفْظي، ومنها المعنوي.

أمَّا اللَّفظي: فهو الإعلامُ مِنْ أوَّلِ الأمرِ بأنَّ ما بَعْدَه خَبرٌ لا تابع.

وأمَّا المَعْنَويّ: فله فائِدتان:

١ـ التوكيدُ لذلك بني عليه أنَّه لا يُجامِعُ التَّوكيد، فلا يقال: " زَيدٌ نفسُه هو الفاضل".

٢ـ الاخْتِصاص، وهو أنَّ ما يُنْسَب إلى المُسْنَد إليه ثابتٌ لهُ دون غيره نحو {وأولئك هم المفلحون}البقرة ٥،[2].

شروط ضمير الفصل:

يشترط في ضمير الفصل ستة شروط: "اثنان فيه مباشرة، واثنان في الاسم الذي قبله، واثنان في الاسم الذي بعده" فيشترط فيه مباشرة:

١ـ أن يكون أحد ضمائر الرفع المنفصلة.

٢ـ أن يكون مطابقًا للاسم السابق في المعنى، وفي التكلم والخطاب والغَيبة، وفي الإفراد والتثنية والجمع،. وفي التذكير والتأنيث، كالأمثلة السابقة.

"ويشترط فى الاسم الذى قبله:

---

[1] ابن هشام، مغني اللبيب: ص. ٦٤٦- ٦٤٥.

[2] الدقر، معجم القواعد العربية في النحو والتصريف، ص٢٧٩، ٢٨٠، عبد الغني، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١- أن يكون معرفة.

٢- وأن يكون مبتدأ؛ أو ما أصله المبتدأ؛ كاسم "كان" وأخواتها؛ واسم "إن" وأخواتها؛ ومعمول "ظننت" وأخواتها.

وسبب اشتراط هذا الشرط؛ أن اللبس يكثر بين الخبر والصفة؛ لتشابههما في المعنى؛ إذ الخبر صفة في المعنى، على الرغم من اختلاف كل منهما في وظيفته وإعرابه، وأن الخبر أساس في الجملة دون الصفة.

فالإتيان بضمير الفصل يزيل اللبس الواقع على الكلمة، ويجعلها خبرًا، وليست صفة؛ لأن الصفة والموصوف لا يفصل بينهما فاصل إلا نادرًا.

نعم قد يقع اللبس بين الخبر وبعض التوابع الأخرى غير الصفة، ولكنه قليل، أما مع الصفة فكثير.

ويشترط في الاسم الذي بعده:

١- أن يكون خبرًا لمبتدأ، أو لما أصله المبتدأ - كالأمثلة السالفة.

٢- أن يكون معرفة، أو ما يقاربها في التعريف "وهو: أفعل التفضيل المجرد من أل والإضافة، وبعده: مِنْ" فلا بد أن يتوسط بين معرفتين، أو بين معرفة وما يقاربها."

"إعراب ضمير الفصل:

أنسب الآراء وأيسرها؛ هو الرأي الذي يتضمن الأمرين الآتيين:

١- أنه في الحقيقة ليس ضميرًا "على الرغم من دلالته على التكلم، أو الخطاب، أو الغَيبة"؛ وإنما هو حرف خالص الحرفية؛ لا يعمل شيئًا؛ فهو مثل "كاف" الخطاب في أسماء الإشارة، وفي بعض كلمات أخرى؛ نحو: ذلك، وتلك، والنجاءك "وقد سبقت الإشارة إليها في هذا الباب"٢

٢- فمن الأنسب أيضًا تسميته: حرف الفصل"، ولا يحسن تسميته "ضمير الفصل" إلا مجازًا: بمراعاة شكله، وصورته الحالية، وأصله قبل أن يكون لمجرد الفصل"[١]

ولا يكون فصلاً إلا:

١- في الفعل، وفي كل فعل الاسم بعده بمنزلته في حال الابتداء.

[١] عباس حسن، النحو الوافي، ج١، ص: ٢٤٧:٢٤٨.

٢- إن ذكر ليستدل المحدَّث أن ما بعد الاسم ما يُخرجه مما وجب عليه، وأن ما بعد الاسم ليس منه.

محلُّه من الإعراب:

يَقُول البصريُّون: إنه لا محلّ لهُ من الإعراب، ثُم قال أكثرُهم: إنَّه حرفٌ، وعند الخليل: اسم، غير معمول لِشَيءٍ.

وقد يَحتمل إعرابُ ضميرِ الفصل أوُجُهاً منها:

١- الفَصْلِيَّة التي لا مَحلَّ لها.

٢- والتَّوكيدِ في نحو قوله تعالى: {كنتَ أنتَ الرَّقِيب عَلَيهم}[١]، ونحو {إنْ كُنَّا نحْنُ الغَالبين}[٢]، ولا وجهَ للابْتداء لانتصاب ما بعده، ومنها:

٣- الفَصْلِية والابتداءُ في ونحو قوله تعالى: {وإنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّون}[٣]، ولا وجْهَ للتوكيد لدُخُول اللام. ومنها: احْتِمالُ الثَّلاثةِ: الفَصْلِيَّةُ والتَّوكيدِ والابتداءِ، في نحو قوله تعالى: {إنَّكَ أنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ}[٤].

ومن مسائل سيبويه في الكتاب "قَد جرَّبتُكَ فكنتَ أنْتَ أنْتَ". الضميران: مبتدأ وخبر، والجملة خبر كان، ولو قدرنا الأول فصلاً أو توكيداً لقلنا "أنتَ إيَّاكَ"[٥].

٣-ويأتي للاختصاص:

قال ابن يعيش: "وفي كلامهم ما هو على طريقةِ النداء، ويُقصد به الاختصاصُ، لا النداءُ، وذلك قولهم: "أمّا أنا فأفعلُ كذا أيُّها الرجلُ"، و"نحن نفعل كذا أيُّها القومُ"، و"اللَّهُمَّ اغْفِرْ لنا أيتُها العِصابةُ".

جعلوا "أيّا" مع صفته دليلاً على الاختصاص، والتوضيح، ولم يعنوا بالرجل، والقوم، والعصابةِ إلاَّ أنفسَهم، وما كنّوا عنه بـ"أنَا" و"نحن" والضميرِ

---

(١) المائدة، الآية: ١١٧.
(٢) الأعراف، الآية: ١١٣.
(٣) الصافات، الآية: ١٦٥.
(٤) المائدة، الآية: ١٠٩.
(٥) الدقر، معجم القواعد العربية، في النحو والتصريف، ص ٢٧٩، عبد الغني، :دار القلم، دمشق، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م.

في "لَنَا"، كأنّه قيل: أمّا أنا فأفعلُ متخصّصًا بذلك من بينِ الرجال، ونحن نفعل متخصِّصين من بين الأقوام، واغفرْ لنا مخصوصين من بين العصائب"[1].

قال الشارح: اعلم أنّ كلَّ منادى مختصٌّ، تختصُّه فتُناديه من بينِ مَن بحَضْرتك لأمْرك، ونَهْيك، أو خبرِك. ومعنَى اختصاصك إياه أن تقصِده، وتختصّه بذلك دونَ غيره.

وقد أجرتِ العرب أشياءَ اختصّوها على طريقة النداء لاشتراكهما في الاختصاص، فاسْتعير لفظُ أحدهما للآخر من حيث شارَكَه في الاختصاص، كما أجروا التسْويةَ مُجْرَى الاستفهام، فأنت غيرُ مستفهم، وإن كان بلفظ الاستفهام لتشارُكهما في معنى التسوية، لأنّ معنى قولك: "لا أُبالي أفعلتَ أم لم تفعل"، أي: هما مستوِيان في عِلْمي.

فكما جاءت التسويةُ بلفظ الاستفهام لاشتراكهما في معنى التسوية، كذلك جاء الاختصاصُ بلفظ النداء، لاشتراكهما في معنى الاختصاص، وإن لم يكن منادى.

والذي يدلّ على أنّه غير منادى أنّه لا يجوز دخولُ حرف النداء عليه، لا تقول: "أنا أفعلُ كذا يا أيُّهذا الرجلُ" إذا عنيتَ نفسك، و"نحن نفعل كذا يا أيُّها القومُ" إذا عنيتم أنفسَكم، لأنّك لا تُنبِّه غيرَك.

وهذا الاختصاص يقع للمتكلّم، نحوِ: "نحن نفعل أيُّها العِصابةُ"، وتعني بالعصابة أنفسَكم، وللمخاطب، نحوِ: "أنتم تفعلون أيّها القومُ"، ولا يجوز للغائب، لا تقول: "إنهم كذا أيّتُها العصابةُ".

وقولهم: "أنا أفعل كذا أيّها الرجل"، و"نحن نفعل كذا أيّتها العصابة"، فـ "أيٌّ" وصفتُها مرفوعٌ بالابتداء، وخبرُه محذوفٌ، أو خبرٌ محذوفُ المبتدأ.

فإذا كان مبتدأ، فكأنّه قال: الرجلُ المذكور؛ أو العصابةُ المذكورة؛ مَن أُريد. وإذا كان خبرًا، فكأنّه قال: من أُريد الرجلُ المذكور أو العصابةُ المذكورة، إذ لا يقدَّر فيها حرفُ النداء، بل هي جملةٌ في موضع الحال، لأنّ الكلام قبلها تامٌّ.

ولذلك مثَّلهَا صاحبُ الكتاب بقوله: "أنا أفعل كذا متخصِّصًا من بين الرجال" و"نحن نفعل كذا متخصِّصين من بين الأقوام".

---

[1] ابن يعيش، شرح المفصل، ج٢، ص١٧. ابن علي، ت: ٦٤٣هـ ، إدارة الطباعة المنيرية، مصر.

وذكرُ "أيّ" هنا وصفتِه توضيحًا وتأكيدًا، إذ الاختصاص حاصلٌ من "أنا"، و"نحن"، فاعرفه.

وقال: وممّا يجرى هذا المجرى قولُهم: "إنَا مَعشرَ العرب نفعل كذا"، و"نحن آلَ فلان كُرَماءُ"، و"إنَا معشرَ الصَّعالِيكِ لا قوَّةَ بنا على المُرُوّة"، إلّا أنّهم سوّغوا دخولَ اللام ههنا، فقالوا: "نحن العربَ أقَرَى الناس للضيف "، و"بك اللهَ نرجو الفَضْلَ"، و"سُبْحانَك الله العظيمَ". ومنه قولهم: "الحَمْدُ لله الحميدَ"، و"المُلْكُ لله أهلَ المُلْك"، و"أتاني زيدٌ الفاسقَ الخبيثَ"، وقُرىء: {حَمَّالَةَ الْحَطَبِ}[1]، و"مررتُ به المِسْكِينَ والبائسَ".

وكذلك قولهم: "نحن العربَ أقرى الناس للضيف" فالعربُ هم "نحن". ونصبُ هذه الأسماء كنَصْبِ ما ينتصب على التعظيم والشتْم بإضمارِ "أُريد" أو "أعنِي" أو "أختصّ".[2]

فالاختصاصُ نوعٌ من التعظيم والشتم، فهو أخصُّ منهما، لأنّه يكون للحاضر، نحو: المتكلّم، والمخاطب، وسائرُ التعظيم والشتم يكون للحاضر، والغائب.

وهذا الضربُ من الاختصاص يُراد به تخصيصُ المذكور بالفعل، وتخليصُه من غيره على سبيل الفَخْر، والتعظيم.

وسائر التعظيم والشتمِ ليس المرادُ منه التخصيصَ والتخليصَ من موصوف آخَر، وإنما المرادُ المدح أو الذمّ.

وأمّا "نَحْنُ" فللمتكلّم إذا كان معه غيرُه، يستوي فيه المذكّرُ والمؤنّث والتثنيةُ والجمع، فتقول: "نحن خارجان"، و"نحن خارجون".

وإنّما استوى فيه لفظُ التثنية والجمع لِمَا تقدّم من أن التثنية والجمعَ ههنا ليس على منهاج غيرها من الأسماء الظاهرة؛ لأنّه لم يُرَد ضَمُّ متكلّم إلى متكلم كما كان التثنيةُ؛ ضمَّ اسم إلى اسم.

---

[1] سيبويه، الكتاب، ج٢، ص ٣٧٠.

[2] نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٢٧، وص٣٧٤

وإنّما المتكلّمُ يتكلّم عن نفسه وغيره، ولم يكن المتكلّم ممّا يُلْبِس بغيره لإدراكه بالحاسّة، فلم يحتج إلى الفصل بين التثنية والجمع، والتأنيث والتذكير.[١]

وقد جاء نكرة في قول الهُذَليّ [من المتقارب]:

٢٢٥ - وَيأْوِي إلى نِسْوةٍ عُطَّلٍ ... وشُعْثا مَراصيعَ مِثْلَ السَّعالِي.

وقد وقف عباس حسن في موضوع الاختصاص لضمير المتكلم نحن على هذين البيتين، "قال الشاعر أحمد شوقي:

قل للحوادث أقدمي؛ أو أحجمي ... إنا بنو الإقدام والإحجام

نحن النيام إذا الليالي سالمت ... فإذا وثبن فنحن غير نيام[٢]

من يسمع: "نا" أو: "نحن" يتردد في خاطره السؤال عن المقصود من هذا الضمير الدال على المتكلم؟ وعن مدلوله؟ وحقيقة المتكلم به؟ وجنسه؟ أيكون مداوله؟ والمقصود منه: العرب؟ أم: أهل العلم؟ أم: الأبطال؟ أم: أبناء الشرق؟ أم غير هؤلاء ممن لا يحصون جنسا، ولا نوعا، ولا عددا؟.

أيكون المراد - مثلا-: "إنا - العرب، بنو الإقدام ... " و "نحن - الأبطال- النيام" ... و ... فالضمائر المذكورة يشوبها عيب واضح؛ هو: عموم يخالطه إبهام تحتاج معهما إلى تخصيص وتوضع، فإذا جاء بعد كل ضمير منها اسم ظاهر، معرفة، يتفق مع الضمير في المدلول، ويختلف عنه بزيادة التحديد والوضوح - زال العيب، وتحقق الغرض.

كالذي تحقق بزيادة كلمة: "العرب" وكلمة: "الأبطال" فيما سبق؛ إذ المراد منها هو المراد من الضمير قبلها؛ ولكن بغير عموم، ولا غموض، كالذي في تلك الضمائر، على الرغم من أنها متجهة للمتكلم"[٣].

والاختصاص:

١- على طريقة النداء، كما أجروا التسْويةَ مُجْرَى الاستفهام.

٢- يستوي فيه المذكّرُ والمؤنّث، والتثنيةُ والجمع.

---

[١] سيبويه، الكتاب، الجزء: ٢، ص ٢٣٤، ص: ٣٠٦

[٢] أحمد شوقي، قصيدة الديوان، أحمد بن علي. أشهر شعراء العصر الأخير، يلقب بأمير الشعراء، مولده ووفاته بالقاهرة.

[٣] النحو الوافي، ج١ ص٢٥٥ م١٩ "باب: الضمائر" معنى: إبهام الضمير، وطريقة إيضاحه.

٣ـ فالاختصاصُ نوعٌ من الفخر والشتم والتعظيم.

علة بنائه على الضم:

وَاخْتلف فِي عِلّة بنائِهِ على الضَّم، فَقَالَ الْفراء وثعلب: لما تضمن معنى التَّثْنِيَة. وَقَالَ الزّجاج: نَحن لجَماعَة، وَمن عَلامَة الْجَمَاعَة الْوَاو، والضمة من جنس الْوَاو. وَقَالَ الْأَخْفَش الصَّغِير: نَحن لِلْمَرْفُوعِ، فحرك بِمَا يشبه الرّفْع. وَقَالَ الْمبرد: تَشْبِيها بـ قبلُ، وَبعدُ، لِأَنَّهَا مُتَعَلقَة بِشَيْء، وَهُوَ الْإِخْبَار عَن اثْنَيْنِ فَأكْثر.

والأَصْل نَحن بِضَم الْحَاء وَسُكُون النُّون؛ فنقلت حَرَكَة الْحَاء على النُّون؛ وأسكنت الْحَاء[١].

وجاء في كتاب المحكم، لابن سيده: نَحن ضمير يَعْنِي بِهِ الِاثْنَان والجميع المخبرون عَن أنفسهم، وَهِي مَبْنِيَّة على الضَّم لِأَن نَحن تدل على الْجَمَاعَة، وَجَمَاعَة المضمرين تدل عَلَيْهِم الْمِيم أَو الْوَاو نَحْو: فَعلوا، وانتم، وَالْوَاو من جنس الضمة، وَلم يكن بُدّ من حَرَكَة نحنُ، فُحِرِّكَتْ بالضم، لِأَن الضَّم من الْوَاو، فَأَما قِرَاءَة من قَرَأَ (نَحْنُ نُحْي ونُمِيتُ) فلابد أَن تكون النُّون الأولى مختلسة الضمة تَخْفِيفًا، وَهِي بِمَنْزِلَة المتحركة، فَأَما أَن تكون سَاكِنة والحاء قبلهَا سَاكِنة فخطأ[٢].

فبناؤه على الضم جاء:

١ـ لما تضمن معنى التَّثْنِيَة.

٢ـ نَحن لجَماعَة، وَمن عَلامَة الْجَمَاعَة الْوَاو، والضمة من جنس الْوَاو.

٣ـ نَحن لِلْمَرْفُوعِ، فحرك بِمَا يشبه الرّفْع.

٤ـ تَشْبِيها بـ قبلُ، وَبعدُ.

٥ـ الأَصْل: (نَحُنْ) بِضَم الْحَاء؛ وَسُكُون النُّون؛ فنقلت حَرَكَة الْحَاء على النُّون؛ وأسكنت الْحَاء.

---

(١) السيوطي، همع الهوامع: ج:١، ص: ٢٣٩.

(٢) بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج: ٢، ص: ٥٣٨، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي ت: ٤٥٨هـ ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

المبحث الثاني

الضمير نحن في القرآن الكريم

يستخدم القرآن الكريم الضمير نحن منسجما مع سياق النص، والاستعمال اللغوي، ويستخدم صيغة الجمع والتعظيم والتفخيم، عندما يتحدث عن: (الرزق، أحسن القصص، العلم، تنزيل الذكر وحفظه، الإحياء والإماتة والإرث، الإهلاك، كتابة العمل والإحصاء، رفع الدرجات، الخلق، والقرب، المصير، التقدير والسبق، الإزراع وإنزال المطر، الإنشاء، التذكرة، والجعل، شد الأسر والإبدال).

لقد استخدم القرآن الكريم الضمير المنفصل نحن، الدال على كل ما ينطوي تحت اسم الله الأعظم من صفات، تجتمع كلها في ضمير جميع الصفات نحن، لتلتقي مع ضمير التفرد أنا، في وحدة متكاملة.

فنحن: تدل على وحدانية التفرد في القدرة على الخلق والعدم، والكبرياء في السماوات والأرض، وهذه وحدانية العبودية لله وحده، والتفرد بالعبادة له وحده، من البشر جميعا، بل المخلوقات كلها، شكرا وحمدا وامتنانا وعرفانا وردا للفضل، وإيمانا وتصديقا، بكل حرية وإرادة، دون إكراه؛ ولا إجبار؛ ولا قهر.

حين يتحدث الحق - سبحانه وتعالى - عن فعل من أفعاله؛ أو عمل من أعماله، ويأتي بضمير الجمع؛ فسبب ذلك أن كل فعل من أفعاله يتطلب وجودَ صفات متعددة ؛ أي يتطلب: علماً؛ وحكمة؛ وقدرة؛ وإمكانات.

ولكن حين يتكلم – سبحانه وتعالى - عن الذات الإلهية؛ فهو يؤكد على الوحدانية، فلا تأتي بصيغة الجمع، يقول تعالى: {إِنَّنِيَ أَنَا ٱللَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَ أَنَاْ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلاَةَ لِذِكْرِيَ }[1].

وهناك مسألة مهمة أيضا في هذا المجال، وهي أن الله يشير باستخدام الضمير نحن إلى فضل الأطراف الأخرى المشاركة في إيصال النعمة إليك، أو الجنود المشاركة في تنفيذ الأمر الإلهي، فينوه لها، مشيرا لفضلها، معترفا بجميلها، مقدرا عملها، مبينا وموضحا ومعلماً لنا على ذكر فضل الآخرين، وعدم نكرانه.

[1] طه: آية ١٤

ـ لقد وردت في القرآن الكريم ثلاث وثمانون آية، فيها الضمير المنفصل نحن. ورد منها بلغة الجماعة على قول البشر والملائكة والرسل والأنبياء والشياطين، الضمير المنفصل نحن ٥٢ اثنتين وخمسين مرة، وورد على قول الله تعالى بصفة من صفاته ٣١ إحدى وثلاثين مرة، اقترنت ست منها بـ إنَّا.

الآيات التي وردت في القرآن الكريم:

هذه إحصائية بالآيات القرآنية التي تتحدث عن الضمير نحن المفرد، الذي يخص الذات الإلهية، بلغة التعظيم والتفخيم، بحسب ورودها في القرآن الكريم، مرتبة بتسلسل السور القرآنية، قال تعالى:

١ـ {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ..}الأنعام.١٥

٢ـ {وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ }التوبة١٠١.

٣ـ {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ }يوسف٣ .

٤ـ {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }الحجر٩ .

٥ـ {وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ }الحجر٢٣ .

٦ـ {وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً}الإسراء٣١ .

٧ـ {نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً }الإسراء٤٧ .

٨ـ {وَإِن مَّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً }الإسراء٥٨ .

٩ـ {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى }الكهف١٣.

١٠ـ {إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ } مريم٤٠.

١١ـ {ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيّاً } مريم٧٠ .

١٢- {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً }طه١٠٤.
١٣- {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى}طه١٣٢.
١٤- {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ }المؤمنون٩٦.
١٥- وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ }القصص٥٨ .
١٦- {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ}يس١٢.
١٧- {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}الزخرف٣٢.
١٨- {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}ق.١٦.
١٩- {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ }ق٤٣.
٢٠- {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ}ق٤٥.
٢١- {نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ }الواقعة ٥٧ .
٢٢- {أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ }الواقعة٥٩ .
٢٣- {نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ }الواقعة٦٠ .
٢٤- {أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ }الواقعة٦٤ .
٢٥- {أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ }الواقعة٦٩ .
٢٦- {أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ }الواقعة٧٢ .
٢٧- {نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِّلْمُقْوِينَ }الواقعة٧٣ .
٢٨- {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ }الواقعة٨٥ .
٢٩- {عَلَى أَن نُّبَدِّلَ خَيْراً مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ }المعارج٤١ .
٣٠- {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً }الإنسان٢٣ .
٣١- {نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً } الإنسان٢٨.

وسنستعرض بعض هذه الآيات، ونقف على معانيها، وسيكون ذلك من خلال ما قاله المفسرون، ومما جاء في أهم كتب التفسير.

استعمالات الضمير (نحن)

للتعظيم والتفخيم

وأكثر ما يكون في القرآن الكريم، فعندما يشير الله - سبحانه وتعالى - إلى نفسه باستخدام ضمير العظمة (نحن)، في الآيات القرآنية، فهذا لا يعني الجمع مطلقا، ولا إلى أن هناك أكثر من إله، بل هو استخدم خاص في هذا الضمير، الغاية منه الإشارة إلى التعظيم والتفخيم والتبجيل، والقوة والكبرياء، والقدرة العظمة جل جلاله.

فالله سبحانه وتعالى يذكر نفسه تارة بصيغة المفرد، مظهرا؛ أو مضمرا. وتارة بصيغة الجمع، كقوله: {إنا فتحنا لك فتحا مبينا}، وأمثال ذلك..

ولا يذكر نفسه بصيغة التثنية قط؛ لأن صيغة الجمع تقتضي التعظيم الذي يستحقه؛ وربما تدل على معاني أسمائه، وأما صيغة التثنية فتدل على العدد المحصور، وهو مقدس منزه عن ذلك.[1]

قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}الحجر٩.

فقد أشار الله - سبحانه وتعالى - إلى نفسه، باستخدام ضمير المفرد (نحن)، و(إنا) للدلالة على التعظيم والتفخيم، وليس للتعدد.

إضافة إلى ذلك، استخدام الملوك والأمراء والوزراء، في الخطابات السياسية، هذا الضمير، للإشارة إلى السلطة والقوه، والمكانة العالية، وكذلك يستخدمه فرد واحد في الكتابة العلمية، من أجل تجنب ضمير "أنا" الذي قد يشير للأنانية والذاتية والفردية، وعند كتاب الأعمدة التحريرية، في الصحف العلمية والمجلات، وكذلك المعلقون في وسائل الإعلام الأخرى، يشيرون إلى أنفسهم بضمير المفرد (نحن) عند إعطاء آرائهم، وفي بعض الأساليب التي يستخدمها الكتّاب والمؤلفون، لتجنب

---

[1] فالح بن مهدي، التحفة المهدية، شرح الرسالة التدمرية، لابن تيمية: ص. ١٨٤، تصحيح وتعليق: د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار الوطن، الرياض

الذاتية في المؤلفات؛ في هذه الحالات. فالقارئ - كذلك - والمستمع، لا يتمكن من تمييز المعنى الأساس لهذا الضمير.

ولكن استعمال هذا الضمير يبد واضحا كل الوضوح في الاستعمال القرآني، ولهذا سنقوم بتتبع هذا الضمير في الآيات القرآنية التي ورد بها، وسندرس أهم هذه الآيات، ونقف عليها، لنستخرج منها أهم المعاني والدلالات التي جاء بها هذا الضمير، لنصل إلى نتيجة تجيب على أسئلتنا كلها: كيف استخدم القرآن الكريم الضمير نحن؟ وما هي المعاني والدلالات التي جاء بها؟ ولماذا يستخدم صيغة الجماعة نحن؟ وكيف؟ وكذلك مجيء الضمير المتصل (نّا) مقترنا به؟ ومتىيكون؟ ومتى يستخدم صيغة الإفراد (أنا أو إنّي أو إنّني)؟ وكيف؟ وهل هذه الاستخدامات لها ضابط يضبطها؟ أم هي بلا ضابط؟.

مجيؤه بعد إن التوكيدية، ونا (إنَّا نحنُ):

إن الضمير المنفصل نحن، يأتي أحيانا بعد إنّ التوكيدية، ويذكر علماء العربية أنَّ إنَّ عندما تدخل على الجملة الاسمية، تفيد التأكيد، إضافة إلى تأكيد الاسمية نفسها، وإذا ابتدئ بها تجري مجرى القسم، تأكيد آخر، أي: والله إنّا، أو إنّنا، جاء في معاني النحو: (فإن للتأكيد، ولذا أجيب بها القسم، كما يجاب باللام في قولك والله لزيد قائم، وزعم ثعلب أن الفراء قال: إن مقررة لقسم متروك، استغني عنه بها، والتقدير: والله إن زيدا لقائم)[١]

ويقترن الضمير المنفصل نحن أحيانا بها، ويأتي بعدها، وفي هذه الحالة تكون له معان كثيرة، ودلالات مختلفة .

لقد استخدم القرآن الكريم الضمير المنفصل نحن، الدال على كل ما ينطوي تحت اسم الله الأعظم من صفات، تجتمع كلها في ضمير جمع الصفات نحن، لتلتقي مع ضمير التفرد أنا، في وحدة متكاملة.

فنحن تدل على وحدانية التفرد في القدرة على الخلق والعدم، وله الحمد كله والكبرياء في السماوات والأرض، وهذه وحدانية العبودية لله وحده، والتفرد بالعبادة له وحده المفروضة على البشر جميعا، بل المخلوقات كلها، شكرا وحمدا

[٤١] د. فاضل السامرائي، معاني النحو ، ينظر الحروف المشبهة بالفعل، ج١، ٢٦٣.

وامتنانا وعرفانا وردا للفضل، وإيمانا وتصديقا، بكل حرية وإرادة، دون إكراه ولا إجبار ولا قهر.. فحين يتحدث الحق - سبحانه - عن فعل من أفعاله؛ ويأتي بضمير الجمع؛ فسبب ذلك أن كل فعل من أفعاله يتطلب وجودَ صفات متعددة؛ يتطلب: علماً؛ وحكمة؛ وقدرة؛ وإمكانات.

ولكن حين يتكلم - سبحانه - عن الذات؛ فهو يؤكد التوحيد، فلا تأتي بصيغة الجمع، يقول تعالى: { إِنَّنِيۤ أَنَا ٱللَّهُ لاۤ إِلَـٰهَ إِلاۤ أَنَاْ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلاَةَ لِذِكْرِيۤ}[1].

وسنستعرض بعض هذه الآيات، ونقف على معانيها، ونثبت النقاط التي نرصدها في ذلك: قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ}[2].

وقال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ}[3].

فالحديث هنا عن قضيتين عظيمتين مهمتين للإنسان، إن لم يكونا أهم وأعظم حاجتين فيه: الإحياء، والإماتة، إضافة إلى قضية الكتابة للحسنات والسيئات، وما يترتب عليها من حساب وثواب وعقاب، وبعث وآخرة، ومصير ينتظر الإنسان، إما إلى نار، وإما جنة.

ولهذا استخدم الضمير نحن، وسبقه بإنّ، ونا ضمير العظمة المتصل.

جاء في تفسير مفاتيح الغيب للرازي ما يأتي:

{إِنَّا نَحْنُ}: يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون مبتدأ وخبراً - أي نا تعرب: ضميرا متصلا اسم إن المنصوب، المبتدأ المرفوع قبل دخول إن عليه، ونحن: تعرب: خبر المبتدأ قبل دخول إن، وخبر إنّ المرفوع بعد دخولها، كقول القائل: أنا أبو النجم وشعري شعري.[4] [5].

---

[1] طه: ١٤.

[2] يس: ١٢.

[3] ق: ٤٣.

[4] أبو النجم العجلي، ديوان أبو النجم العجلي، وتكملة البيت: لله دري ما يجن صدري، تحقيق: محمد أديب، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٧٢هـ٢٠٠٦م، ص١٩٨

[5] المرتضى، أمالي، ج١، ص ٣٥٠، خزانة الأدب، ج١، ٤٣٩، الخصائص، ج٣، ص ٣٣٧، شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي ص ١٦١٠، شرح شواهد المغني، ج٢، ص ٩٤٧، مغني اللبيب، ج١، ٣٢٩، الهمع ج١، ص ٢٠١.

ومثل هذا يقال عند الشهرة العظيمة، وذلك لأن من لا يعرف يقال له من أنت؟ فيقول: أنا ابن فلان، فيعرِّف.

ومن يكون مشهوراً إذا قيل له من أنت ؟ يقول أنا أنا، أي مشهور، أي لا معرَّف لي أظهر من نفسي، فقال: إنا نحن، معروفون بأوصاف الكمال، وإذا عرَّفنا بأنفسنا، فلا تنكر قدرتنا على إحياء الموتى.

وثانيهما: أن يكون الخبر {نُحْيي} كأنه قال إنا نحيي الموتى، فـ إنّ واسمها، ونحيي هي الخبر، و{ نَحْنُ} يكون تأكيداً، والأول أولى. فدلت على الشهرة والعظمة والتأكيد[١].

المسألة الثانية: {إنا نحن} فيه إشارة إلى التوحيد، لأن الاشتراك يوجب التمييز بغير النفس، فإن زيداً إذا شاركه غيره في الاسم، فلو قال: أنا زيد، لم يحصل التعريف التام، لأن للسامع أن يقول: أيما زيد؟ فيقول ابن عمرو. ولو كان هناك زيد آخر أبوه عمرو، لا يكفي قوله ابن عمرو، فلما قال الله: {إِنَّا نَحْنُ} أي ليس غيرنا أحد يشاركنا، فنمتاز، وحينئذٍ تصير الأصول الثلاثة مذكورة، الرسالة، والتوحيد، والحشر.

هنا دل الضمير على: التوحد والتفرد، والتمييز، والتعريف التام، وقدم الإحياء على الكتابة، مع أن الكتابة أسبق: لأنه قال: (إنا نحن)، ولكن الإحياء أعظم من الكتابة، فقدم الأمر العظيم، وذكر ما يعظم ذلك العظيم.

فهنا دل الضمير نحن على العظمة والجبروت وتعظيم المعظم، والتعريف بالأمر العظيم، وتقديمه[٢].

ـ ونكتب ما قدموا: كناية عن المجازاة والإحاطة والعلم، بأعمالهم بالكتابة التي تضبط الأشياء.[٣]

وجاء في تفسير إرشاد العقل السليم: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى}: بيان لشأن عظيم، ينطوي على الإنذار والتبشير، انطواء إجماليا، أي نبعثهم بعد مماتهم، {وكل شيء} من الأشياء كائنا ما كان، {أحصيناه في إمام مبين}، أصل عظيم

---

[١] مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، الرازي (ت ٦٠٦ هـ).
[٢] المصدر نفسه، ج٢٦، ص ٤٩.
[٣] أبو حيان، البحر المحيط ، ج: ٩ ص: ٥٢

الشأن، مظهر لجميع الأشياء مما كان، وما سيكون، وهو اللوح المحفوظ.[١]

إنذار، وترهيب وترغيب؛ ووعد ووعيد، وتكرير الضمير لإفادة الحصر، أو للتقوية، وما ألطف هذا الضمير الذي عكسه كطرده ههنا، وضمير العظمة، للإشارة إلى جلالة الفعل، والتأكيد للاعتناء بأمر الخبر، أو لرد الإنكار. {وَكُلَّ شَيْءٍ} من الأشياء كائنا ما كائن، والنصب على الاشتغال، أي وأحصينا كل شيء أحصيناه، أي بيناه وحفظناه، ولا يخفى ما في ذلك من البعد.[٢]

{إِنَّا نَحْنُ} هذان ضميران للمتكلم على سبيل التعظيم، فإنَّا هي نحن، كما لو قلت: زيد زيد، فماذا أضافتْ نحن بعد إنَّا؟. القاعدة في صياغة اللغة أن تمييز الشيء يأتي حين يكون هناك اشتراك، فإنْ لم يكُنْ اشتراك فلا يأتي التمييز، كما لو قُلْتَ لمن يطرق على بابك: مَنْ أنت؟ يقول: محمد، وأنت تعرف محمدين كثيرين، فتقول: أيُّ المحمدين أنت؟ فيقول: محمد أحمد، وأيضاً أنت تعرف كثيرين بهذا الاسم، فتقول: محمد أحمد مَنْ؟ فيقول: محمد أحمد محمود، وعندها يحصل التمييز لوجود الاشتراك في الأولى، وفي الثانية.

فكأن الحق سبحانه لما قال: {إِنَّا} وليس هناك غيره قال: { إِنَّا نَحْنُ} يعني: كأنه قال إنَّا إنَّا يعني: لا أحدَ سِوَاي، فليس في هذه المسألة اشتراك.[٣]

ونوضح أن كلام الله تعالى عن نفسه قد يأتي بصيغة الجمع كما في {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ}[٤]. و: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[٥]، وتلحظ أن الضمير هنا للتعظيم، وهكذا في كل الآيات التي تتحدث عن فعل من أفعاله تعالى، أو عن فضل من أفضاله، ذلك لأن كل فعل من أفعاله تعالى يحتاج إلى عدة صفات: يحتاج إلى علم، وإلى حكمة، وإلى قدرة.. الخ، وكل هذه الصفات كامنة في (نحن) الدالة على العظمة، المتكاملة في الأسماء الحسنى لله تعالى.

أما حين يتكلم سبحانه عن الذات الواحدة، فيأتي بضمير المتكلم المفرد كما

---

[١] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٧ : ص١٦١، محمد بن محمد العمادي، ت ٩٥١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

[٢] الآلوسي، روح المعاني، ج:١١، ص: ٣٩٠.

[٣] الرازي، مفاتيح الغيب، ينظر: ج٢٦، ص٤٩.

[٤] القدر: ١

[٥] الحجر:٩

في: { إِنَّنِيَ أَنَا ٱللَّهُ }[١]، ولم يقُلْ مثلاً: إننا نحن الله، لأن إننا ونحن تدل على الجمع، والكلام هنا عن الوحدانية، فلا بُدَّ أنْ يأتي بصيغة المفرد.

لذلك يؤكد الحق سبحانه هذه الوحدانية بعدة وسائل للتوكيد في قوله سبحانه: {إِنَّنِيَ أَنَا ٱللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَ أَنَاْ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلاَةَ لِذِكْرِيۤ }، فلم يَقُلْ سبحانه: فاعبدنا وأقم الصلاة لذكرنا، لأن العبادة تكون لله وحده، ثم إن عملية البعث، وإحياء الموتى، لله وحده، لا يشاركه فيها أحد.

قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }[٢].

وقال: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً }[٣].

جاء في تفسير الكشاف ما يأتي: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ}؛ رد لإنكارهم واستهزائهم في قولهم: { يأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ}[٤].

ولذلك قال: إنا نحن، أي نحن بعظم شأننا وعلو جانبنا، نزّلنا الذي أنكروه وأنكروا نزوله عليك، وعمّوا مُنَزّله حيث بنوا الفعل للمفعول، إيماءً إلى أنه أمر لا مصدر له، وفعل لا فاعل له، فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع والبتات، وأنه هو الله تعالى الذي بعث به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وبين يديه ومن خلفه رصد.[٥]

فهذه الصيغة وإن كانت للجمع، إلا أن هذا من كلام الملوك عند إظهار التعظيم، فإن الواحد منهم إذا فعل فعلاً، أو قال قولاً، قال: إنا فعلنا كذا، وقلنا كذا فكذا ههنا.[٦]

وقد اشتملتا على عدد من وجوه التأكيد، و{نَحْنُ} ليس فصلاً، لأنه لم يقع بين اسمين، وإنما هو: إما مبتدأ، أو توكيد لاسم إن، ثم قال: وإنا له لحافظون أي: حافظون له من الشياطين، وفي كل وقت، فلا يعتريه زيادة ولا نقصان، ولا

---

[١] طه: ١٤
[٢] الحجر: ٩
[٣] ـ الإنسان: ٢٣
[٤] الحجر: ٦
[٥] الزمخشري، الكشاف، ينظر ص: ٥٥٨
[٦] الرازي، مفاتيح الغيب: ج:١٣ص: ٥١.

تحريف، ولا تبديل.[١]

ولا يخفى ما في سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة، وعلى فخامة شأن التنزيل، وقد اشتملتا على عدة وجوه من التأكيد، ونحن ليس فصلا لأنه لم يقع بين اسمين، وإنما هو إما مبتدأ، أو توكيد لاسم إن.[٢]، قال تعالى: {وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ}[٣]، وقال: {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ}[٤]، وقال: {وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ}[٥].

تتحدث الآية الأولى في قضيتين عظيمتين هما الإحياء والإماتة، ويستخدم القرآن الكريم، الضمير نحن ليفيد هنا الحصر، وهو إما تأكيدٌ للضمير المتصل الأول، أو مبتدأٌ خبرُه الفعلُ، والجملةُ خبرٌ لـ إنّا، أي لا قدرة لأحد على الإحياء والإماتة إلا نحن.

وهناك إشارة مهمة في تقديم الإحياء على الإماتة، وزيادة لام التوكيد في نحن، بقوله: "لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ" ففي ظاهر الأمر كان من المُمْكِن أن يقول الحق: "إنّا نُميت ونُحيي"، لأنه سبحانه يخاطبنا ونحن أحياء، ولكنه أراد بهذا القول أن يلفت نظرنا إلى الموت الأول، وهو العدم المَحْض الذي أنشأنا منه، هو ما كان قبل أن نُخلَق، وهو سبحانه القائل:{وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[٦].

ثم أوجدنا الله لنكون أحياء؛ ثم يُميتنا، ثم يبعثنا من بعد ذلك للحساب.

ثم يُذيِّل الحق سبحانه الآية بقوله: {وَنَحْنُ ٱلْوَارِثُونَ}، وهذا يعني أن هناك تركة كبيرة؛ وهو القائل: {إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ}[٧].

---

(١) أبو حيان، البحر المحيط: ج ٥، ٦ ص: ٤٣٥، الأندلسي، محمد بن يوسف الأندلسي، ت ٧٤٥هـ، تحقيق، أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

(٢) الآلوسي، روح المعاني: ج ٧، ص٢٦٣. في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود، ت ١٢٧٠هـ تح علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ .

(٣) الحجر٢٣

(٤) الصافات: ١٦٥

(٥) الصافات: ١٦٦

(٦) البقرة: ٢٨

(٧) مريم:٤٠

وهو بذلك يرث التارك والمتروك.

وفي قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً }[١].

أيْ مُفرقاً مُنجَّماً لحِكَمٍ بالغةٍ مقتضيةٍ له كما يعربُ عنه تكريرُ الضميرِ معَ إنَّ.[٢]، سواء كان المنفصل تأكيداً أو فصلاً أو مبتدأ[٣].

وتكرير الضمير بعد إيقاعه اسماً لـ إنّ: تأكيد على تأكيد، وهو أبلغ لمعنى اختصاص الله بالتنزيل، ليتقرّر في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه إذا كان هو المنزل، كأنه قيل: ما نزّل عليك القرآن تنزيلاً مفرقاً منجماً إلا أنا لا غيري.[٤]

فالمقصود من هذه الآية تثبيت الرسول، والتأكيد والمبالغة على أن ذلك وحي حق، وتنزيل صدق من عند الله، وإزالة الوحشة عنه، وتعظيمه وتصديقه وتقويته على تحمل التكليف المستقبل، فجاء التوكيد بـ إنّا، وبـ نحن، وبالمصدر، لمضمون الخبر، ومدلول المخبر عنه.[٥]

ـ قال تعالى: {نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ{٥٧} أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ{٥٨} أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ{٥٩} نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ{٦٠}[٦].

جاء في كتب التفسير: {فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ} تحضيض على التصديق بالخلق، وعلى خلق ما يماثلكم، وما لا يماثلكم، فكيف نعجز عن إعادتكم، {تخلقونه}: تقدرونه وتصورونه.[٧]

لقد خلق الله النطفة وصورها وأحياها ونورها فلم لا تصدقون أنه واحد أحد صمد قادر على الأشياء، فإنه يعيدكم كما أنشأكم في الابتداء، والاستفهام يفيد زيادة تقرير.[٨]

---

[١] الإنسان: ٢٣

[٢] ابن عاشور، إرشاد العقل السليم: ج ٩، ص ٥٧.

[٣] الآلوسي، روح المعاني، تفسير سورة الإنسان. ج١٥، ص ١٨٢.

[٤] الزمخشري، الكشاف، تفسير سورة الإنسان، ص١١٦٧.

[٥] الرازي، مفاتيح الغيب، تفسير سورة الإنسان، ج ٣٠، ص٢٥٧.

[٦] الواقعة: ٥٧ ـ ٦٠.

[٧] الزمخشري، الكشاف: ص١٠٧٨.

[٨] الرازي، مفاتيح الغيب: ج٢٩، ص١٧٧.

ويجوز في {أأنتم} أن يكون مبتدأ، وخبره {تخلقونه}، والأولى أن يكون فاعلاً بفعل محذوف، كأنه قال: أتخلقونه؟ فلما حذف الفعل، انفصل الضمير وجاء {أفرأيتم} هنا مصرحاً بمفعولها الأول.

ومجيء جملة الاستفهام في موضع المفعول الثاني على ما هو المقرر فيها، إذا كانت بمعنى أخبرني.

وجاء بعد أم جملة فقيل: أم منقطعة، وليست المعادلة للهمزة، وذلك في أربعة مواضع هنا، ليكون ذلك على استفهامين، فجواب الأول: لا، وجواب الثاني: نعم، فتقدر أم على هذا، بل أنحن الخالقون، فجوابه نعم.

ويقال: سبقته على الشيء: أعجزته عنه، وغلبته عليه، ولم تمكنه منه، والمعنى: {وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم}: أي نحن قادرون على ذلك، لا تغلبوننا عليه، إن أردنا ذلك.

فعلى أن نبدل متعلق بقوله: {نحن قدرنا}، وعلى القول الأول متعلق {بمسبوقين}، أي لا نسبق.[1] فالمعنى بل أنحنُ الخالقونَ، على أنَّ الاستفهامَ للتقريرِ، وقيل: متصلة ومجيءُ الخالقونَ بعد نحن بطريقِ التأكيد لا بطريقِ الخبريةِ أصالةً، {نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ} أي قسمنَاهُ عليكم، ووقتنا موتَ كلِّ أحدٍ بوقتٍ معينٍ، حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنيةُ على الحكمِ البالغةِ.[2]

ـ قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}[3]

الواو للقسم، وللتوكيد، وقد للتحقيق والتوكيد، وقال خلقنا: بنا الدالة على التعظيم والتفخيم، وقال: ونعلم، ولم يقل: وأعلم، للتفخيم والتعظيم، فجاء قوله: ونحن أقرب، منسجما مع سياق النص، والاستعمال اللغوي، فالقرآن الكريم، يستخدم صيغة الجمع والتعظيم والتفخيم، عندما يتحدث عن الخلق، والعلم، والقرب، والقدرة والمحيى والممات، وعندما يحدثنا سبحانه عن آياته الكونية في السماوات والأرض ويُحدِّثنا عن آياته في خَلْق الإنسان.

---

[1] أبو حيان، البحر المحيط. ج٨، ص٢١٠.
[2] ابن عاشور، إرشاد العقل السليم، تفسير أبي السعود، ج٨، ص١٩٧.
[3] ق: ١٦.

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ..} الله هو خالق الإنسان ومُبدعه، والخالق هو الأعلم بمن خلق، والأعلم بأسراره وما يصلحه {وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ..} يعني: ونعلم ما يختلج في نفسه من خواطر وأفكار. { أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ}(١).

وعلم الله تعالى لا يحجب عنه شيء، ويجري فيه أمرنا كما يجري الدم في عروقه، أي نحن أقرب إليه من روحه.(٢)

.قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ}(٣).

{نحيي ونميت} منْ غيرِ أنْ يشاركَنَا في ذلكَ أحدٌ، أمور مؤكدة لمعنى العظمة، {وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ} للجزاءِ في الآخرةِ، ولأن بعضهم ينكر هذه الحقيقة، أكدها سبحانه بتكرار الضمير ، {إِنَّا نَحْنُ..} هو وحده سبحانه القادر على ذلك {وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ } أي: المرجع والمآب ، فالبداية منا والنهاية إلينا.(٤) ، قال تعالى: نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ{٥٧} أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ{٥٨} أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ{٥٩} نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ{٦٠} عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ{٦١} وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ{٦٢} أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ{٦٣} أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ{٦٤} لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ{٦٥} إِنَّا لَمُغْرَمُونَ{٦٦} بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ{٦٧} أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ{٦٨} أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ{٦٩} لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ{٧٠} أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ{٧١} أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ{٧٢} نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِّلْمُقْوِينَ{٧٣} فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ{٧٤}(٥)

هذه حقائق يقررها الله سبحانه وتعالى، تذكيرا لهم بالإنعام عليهم ، بكل أنواع النعم، وبقدرة الله سبحانه على كل شيء ، جملة وتفصيلا، وأنه المتصرف

---

(١) الملك: ١٤، وينظر: الكشاف، ص١٠٤٤. وإرشاد العقل السليم، ج٨، ص١٢٨.
(٢) ينظر البحر المحيط ، ج٨، ص١٢٣، وروح المعاني، ج١٣، ص ٣٢٨.
(٣) ق٤٣.
(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، ينظر: ج٢٨، ص١٩٠، وابن عاشور، وينظر: إرشاد العقل السليم ج٨، ص١٣٥.
(٥) الواقعة: ٥٧- ٧٤.

في كل شيء، إعطاء ومنعا، وهو المتولي لتفاصيل أحوال الإنسان كلها، وكل ما يحيط به في هذا الكون من نعيم، والتحكم بكل شؤونه، دنيا وأخرى، وهنا يتكلم - سبحانه - بأسلوب يعبر عن أفعال لا يَقْدر عليها غيره؛ بالدقة التي شاءها هو – سبحانه.

قال تعالى: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ}[1].

ونحنُ المتولونَ لتفاصيل أحوالِه بعلمنا وقدرتنا أو بملائكة الموتِ، ونحن المتصرفون بكل شيء، وأنتم العاجزون عن دفع أدنى شيء عنه.[2]

قال تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ}[3].

حدد - سبحانه - أنه هو الذي يقصُّ، وإذا وُجِد فعل لله، فنحن نأخذ الفعل بذاته وخصوصه، ولا نحاول أن نشتق منه اسماً نطلقه على الله، إلا إذا كان الفعل له صفة من صفاته التي عَلِمْناها في أسمائه الحسنى، لأنه الذات الأقدس، والواجب أن ما أطلقه - سبحانه - اسماً نأخذه اسماً، وما أطلقه فعلاً نأخذه فعلاً، وأحسن ما يقص من الأحاديث، على أبدع طريقة وأعجب أسلوب، ولما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب والسعادة التي ليست في غيرها.

ولعل كلمة {هذا} للإيماء إلى تعظيم المشار إليه. وساق هذه القصة مساقاً..

قال تعالى:

{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكر وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر : ٩]

{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ}، رد لإنكار الكافرين واستهزائهم في قولهم: {يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ}، ولذلك قال: إنا نحن، فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع؛ والبتات.

---

[1] الواقعة: ٨٥.

[2] الآلوسي، روح المعاني، ينظر ج١٤، ص ١٥٨.

[3] يوسف: ٣.

وأنه هو الذي بعث به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وبين يديه ومن خلفه رصد، حتى نزل وبلغ، محفوظا من الشياطين، وهو حافظه في كل وقت، من كل زيادة؛ أو نقصان؛ أو تحريف؛ أو تبديل، بخلاف الكتب المتقدمة، فإن الله لم يتول حفظها، وإنما استحفظها للربانيين والأحبار، فاختلفوا فيما بينهم؛ بغيا ، فكان التحريف.

أما القرآن فلم يوكل الله حفظه إلى غيره، فقال: {وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ}، وجعل ذلك دليلا على أنه منزل من عنده ، لأنه لو كان من قول البشر؛ أو غير آيهِ هو، لتطرق إليه الزيادة والنقصان، كما يتطرق على كل كلام سواه"[١].

"بَلْ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِي بَعَثَ بِهِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى رَسُولِهِ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: إِنَّا نَحْنُ، بِدُخُولِ إِنَّ وَبِلَفْظِ نَحْنُ. وَنَحْنُ مُبْتَدَأٌ، أَوْ تَأْكِيدٌ لِاسْمِ إِنَّ.

ثُمَّ قَالَ: وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ، أَيْ: حَافِظُونَ لَهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ، وَفِي كُلِّ وَقْتٍ تَكَفَّلَ تَعَالَى بِحِفْظِهِ، فَلَا تَعْتَرِيهِ زِيَادَةٌ؛ وَلَا نُقْصَانٌ، وَلَا تَحْرِيفٌ؛ وَلَا تَبْدِيلٌ .[٢] ".

".. وقد اشتملتا على عدة وجوه من وجوه التأكيد.. ونَحْنُ ليس فصلا، لأنه لم يقع بين اسمين، وإنما هو إما مبتدأ؛ أو توكيد لاسم إنَّ.."[٣].

"وفي سبك الجملتين من الدلالةِ عَلى كمالِ الكبرياءِ والجلالة؛ وعلى فخامة شأنِ التنزيل؛ مالا يخفى، وفي إيراد الثانيةِ بالجملةِ الاسميةِ ؛ دلالةً على دوام الحفظِ والله سبحانه أعلم[٤] .

" فَأما قوله : {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ} فهذه الصيغة؛ وإن كانت للجمع ، إلا أن هذا من كلام الملوك عند إظهار التعظيم، فإن الواحد منهم إذا فعل فعلاً، أو قال قولاً، قال: إنا فعلنا كذا، وقلنا كذا، فهكذا ههنا"[٥].

"والحق تبارك وتعالى حينما يتحدَّث عن ذاته في الربوبية والأولوهية والعبادة والتوحيد ، يتحدث بضمير المفرد: أنا ، {إني أَنَاْ رَبُّكَ} [طه: ١٢].

---

[١] الزمخشري، الكشاف ص ٥٥٨، ٥٥٩.
[٢] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ، ج٥، ص٤٣٥.
[٣] الآلوسي، روح المعاني، ج٧، ص: ٢٦٣.
[٤] أبو السعود، تفسير أبو السعود، ج٥، ص: ٦٩.
[٥] الرازي، التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، ج١٩، ص١٢٣.

وحينما يتحدث عن فِعْله؛ أو عمله، يتحدث بصيغة الجمع، كما في قوله عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القدر} [القدر: ١]، {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكر}، [الحجر : ٩] ، {إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأرض وَمَنْ عَلَيْهَا}، [مريم: ٤٠] .

فلماذا تكلَّم عن الفعل بصيغة الجمع، وهو يدعونا إلى توحيده؛ وعدم الإشراك به ، قالوا: الكلام عن ذاته تعالى لا بُدَّ فيه من التوحيد ، كما في: {إنني أَنَا الله لا إله إلا أَنَاْ فاعبدني وَأَقِمِ الصلاة لذكري} [طه : ١٤]، لكن في الفعل والعمل يتكلم بصيغة الجمع؛ لأن الفعل والعمل يحتاج إلى صفات كثيرة؛ قدرة للإبراز، وعلما لترتيب النعنة، وتدبيرا وحكمة، وبسطا، فيقول هنا: نؤتيه، لأن الصفات تتكاتف لتعمل الخير.[١]

ولكنه حين يتكلم عن ذاته مجردا عن الفعل، فسبحانه يتكلم بالوحدانية، مثل قول الحق: (إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني)ط١٤. ويحتاج إرادة تريده، وقدرة على تنفيذه؛ وإمكانات وعلم وحكمة"[٢]

"إن كل فعل من أفعاله يتطلب صفات الكمال كلها فيه، لأنه يتطلب علماً بما يتكلم به، وقدرة لإبرازه، وحكمة، وصفات كثيرة، فإذا قال سبحانه: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكر وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩]، فالتنزيل فعل، والفعل يقتضي صفات متعددة، فلا بد أن يأتي بضمير التعظيم؛ وهو الجمع؛ لأن كل صفات الكمال، متجلية في التنزيل، وهكذا نرى إحكام الأداء القرآني "[٣]

والحق سبحانه وتعالى حين يتكلم عن نفسه وذاته، يأتي بأساليب كثيرة: فمرة يأتي بأسلوب الجمع، ونحن نقول: كما قال علماء النحو: «النون للتعظيم» كما في قوله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكر وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩]، لم يقل: أنا أنزلت، فكل شيء يكون نتيجة فعل من أفعال الله، تأتيه «نون التعظيم»[٤].

من خلال ما تقدم نستنتج ما يأتي:

---

[١] الشعراوي: ج ٤، ص٢٤١٥.
[٢] الشعراوي، ج١٥، ص٩٢٣٠.
[٣] الشعراوي، ج ٦، ص٣٦٧٧.
[٤] الشعراوي، ج ٤، ص٢٤١٥

١- إن إعراب نحن جاء إما تأكيد للضمير نا اسم إنّ، أي : إنّ : حرف مشبه بالفعل، يدخل على الجملة الاسمية ، فينصب الأول اسما له ، ويرفع الثاني خبرا له.

ونا: ضمير متصل، مبني على السكون، في محل نصب اسم إنّ.

ونزّلنا: نزّل : فعل ماض، ونا: ضمير متصل فاعل، وجملة نزلنا، من الفعل والفاعل: خبر إنّ.

٢- مبتدأ، خبره جملة نزلنا، وجملة الضمير المنفصل نحن المبتدأ، وخبره جملة نزلنا، خبر لـ إنّ. وليس هنا ضمير فصل، لأنه لم يرد بين اسمين، ولا ضمير اختصاص، لأنه لم يأت بعده اسم منصوب .

ودلالةُ مجيئِه، واستخدامُه هنا:

١. رد لإنكار المنكرين ، وتأكيد للمبتدأ وللخبر . وكذلك للتعظيم والتفخيم .

٢. وقد اشتملت العبارة على عدة وجوه من وجوه التأكيد.

٣. وفي سبك الجملتين من الدلالةِ عَلى كمالِ الكبرياءِ والجلالة؛ وعلى فخامة شأنِ التنزيل؛ مالا يخفى.

٤. هذه الصيغة؛ وإن كانت للجمع ، إلا أن هذا من كلام الملوك عند إظهار التعظيم.

ولو أردنا أن نطبق نظريتي السياق، ومكانة المتكلم ، على هذا النص ونص سورة الكوثر لقلنا: عندما كان السياق سياق تنزل ، والمقام مقام أعظم منزل؛ وهو الله، وتنزيل أعظم كتاب؛ وهو القرآن، واستخدم أوسع كلمة؛ وهي الذكر، على أعظم رسول؛ وهو محمد ، بيد أعظم ملك؛ وهو جبريل ، على أشرف أمة؛ أمة العرب، اقتضى السياق والمقام استخدام كلمة: إنّا، وأكدها بنحن.

ولما كان السياق سياق حفظ دائم، للقرآن نفسه، لا يمسه تحريف وتزييف، بتعهد الخالق المنزل نفسه، وكذلك الحفظ في السطور، وفي الصدور، والمقام مقام ذكر وشرف وعظيم منزلة للحافظين، وتطبيق وجهد وجهاد، وصبر ومصابرة، وتحمل وتعب ومعاناة، والتزام ووفاء وأداء أمانة، من قبل الحافظين له على الأرض، تطلب السياق والمقام استخدام، إنّا، ونحن. والله أعلم.

وفي سورة الكوثر قال:

(إنا أعطيناك الكوثر* فصل لربك وانحر* إن شانئك هو الأبتر) الكوثر ١-٣

فعندما كان السياق سياق عطاء لا محدود استخدم إنَّا، ونا، فأعطيناك تدل على العطاء الكثير، وبلا طلب، وبلا محاسبة على ما تفعل بما نعطي، بعكس آتينا وغيرها، فآتينا بشيء محدد وبطلب، ووراءه حساب، (هذا عطاؤنا فامنن أو .. بغير حساب.. عطاء غير مجذوذ.. أي منقوص..

وقال الكوثر: صيغة فوعل، المبالغة بالكثير، وكثير الكثير، وجمع الكثير، والكثير هو الشيء الذي لا يعد ولا يحصى، فما بالك بالكوثر، فلما كان العطاء هكذا، تطلب السياق، ومقام المعطي، استخدام إنَّا، ونا.

فصل لربك وانحر: لما كان العطاء هكذا، ترتب على الصلاة، وهي الشكر، والنحر، وهو الذبح لسمان الإبل، وإقامة الأفراح والولائم.

إن شانئك هو الأبتر: شانئك: مبغضك، سنبتره في الدنيا والآخرة من كل شيء، فالسياق سياق غضب وانتقام وبتر وقطع وقوة، والمنتقم هو القوي الجبار، فتطلب ذلك استخدام إنَّا، ونا: إنَّا من نستحق الشكر والثناء، وإنَّا من يعطي ويمنع ويقطع، فقال: إنا أعطينا.[1].

قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ} يس١٢.

الحديث هنا عن أهم وأعظم حاجتين في الإنسان: الإحياء؛ والإماتة، مع الكتابة للأعمال، وما ينتج عنها من سيئات وحسنات، وما يترتب عليها من حساب؛ وثواب؛ وعقاب؛ وبعث؛ وآخرة؛ ومصير حسن؛ أو سيء ينتظر الإنسان، إما إلى نار؛ وإما جنة. ولهذا استخدم الضمير نحن ، وسبقه بإنّ ، ونا ضمير العظمة المتصل.

ويستخدم القرآن الكريم، الضمير نحن، ليفيد هنا الحصر، وهو إما تأكيدٌ للضمير المتصل الأول، أو مبتدأٌ خبرُه الفعلُ، والجملةُ خبرٌ لـ إنّا، أي لا قدرة لأحد على الإحياء والإماتة؛ إلا نحن. وفي ذلك مسائل:

---

[1] د. عبد المجيد ياسين الحميدي، سورة الكوثر تفسير وتحليل وتأويل، دار عبادي للنشر، صنعاء اليمن، ٢٠٠٤م.

"الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: إِنَّا نَحْنُ، يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ مُبْتَدَأً وَخَبَرًا، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: (أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي) . وَمِثْلُ هَذَا يُقَالُ عِنْدَ الشُّهْرَةِ الْعَظِيمَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ لَا يُعْرَفُ، يُقَالُ لَهُ مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا فلان ابْنُ فُلَانٍ ابن فلان، فَيُعْرِّفُ، وَمَنْ يَكُونُ مَشْهُورًا؛ إِذَا قِيلَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ يَقُولُ: أَنَا أنا، أَيْ لَا مُعَرِّفَ لِي أَظْهَرُ مِنْ نَفْسِي.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: إِنَّا نَحْنُ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى التَّوْحِيدِ، لِأَنَّ الِاشْتِرَاكَ يُوجِبُ التَّمْيِيزَ بِغَيْرِ النَّفْسِ فَإِنَّ زَيْدًا إِذَا شَارَكَهُ غَيْرُهُ فِي الِاسْمِ، فَقَالَ أَنَا زَيْدٌ، لَمْ يَحْصُلِ التَّعْرِيفُ التَّامُّ، لِأَنَّ لِلسَّامِعِ أَنْ يَقُولَ: أَيُّ زَيْدٍ؟ فَيَقُولُ ابْنُ عَمْرٍو، وَلَوْ كَانَ هُنَاكَ زَيْدٌ آخَرُ أَبُوهُ عَمْرٌو، لَا يَكْفِي قَوْلُهُ ابْنُ عَمْرٍو، فَلَمَّا قَالَ اللَّهُ: إِنَّا نَحْنُ أَيْ لَيْسَ غَيْرُنَا أَحَدٌ يشاركنا حتى نقول إِنَّا كَذَا، فَنَمْتَازُ، وَحِينَئِذٍ تَصِيرُ الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ مَذْكُورَةً، الرِّسَالَةُ وَالتَّوْحِيدُ وَالْحَشْرُ...

وَلِأَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا قَالَ: إِنَّا نَحْنُ، وَذَلِكَ يُفِيدُ الْعَظَمَةَ وَالْجَبَرُوتَ، وَالْإِحْيَاءُ عَظِيمٌ، يَخْتَصُّ بِاللَّهِ، وَالْكِتَابَةُ دُونَهُ، فَقَرَنَ بِالتَّعْرِيفِ الْأَمْرَ الْعَظِيمَ، وَذَكَرَ مَا يُعَظِّمُ ذَلِكَ الْعَظِيمَ.... ".

"وَالثَّالِثُ هُوَ تَوْحِيدٌ، فقال: إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتى: أَيْ بَعْدِ مَمَاتِهِمْ، وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا، كِنَايَةٌ عَنِ الْمُجَازَاةِ: أَيْ وَنُحْصِي، فَعَبَّرَ عَنْ إِحَاطَةِ عِلْمِهِ بِأَعْمَالِهِمْ بِالْكِتَابَةِ الَّتِي تُضْبَطُ بِهَا الْأَشْيَاءُ".[١]

"{إنا نحن نحيي الموتى} بيانٌ لشأنٍ عظيمٍ ينطوي على الإنذارِ والتَّبشيرِ، انطواءً إجماليَّاً أي نبعثُهم بعد مماتِهم، وعن الحسنِ إحياؤهم إخراجُهم من الشِّركِ إلى الإيمانِ، فهو حينئذٍ عدةٌ كريمةٌ، بتحقيق المُبشَّر به.

{وَنَكْتُبُ مَآ قَدَّمُواْ} أي ما أسلفُوا من الأعمالِ الصالحة وغيرها...."

{وآثارهم} التي أبقوها من الحسناتِ. {وَكُلَّ شىْء} من الأشياءِ كائناً ما كانَ {أحصيناه فِى إِمَامٍ مُّبِينٍ}، أصلٍ عظيمِ الشَّأنِ، مظهر لجميعِ الأشياءِ ممَّا كانَ؛ وما سيكونُ، وهو اللَّوحُ المحفوظُ ..."[٢]

---

[١] أبو حيان، البحر المحيط، ج٩، ص٥٢.

[٢] أبو السعود إرشاد العقل السليم، ج ٧، ص١٦١.

"وقوله سبحانه: إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتى إلخ ... تذييل عام للفريقين، ترهيبا وترغيبا؛ ووعدا ووعيدا، وتكرير الضمير؛ لإفادة الحصر؛ أو للتقوية.

وضمير العظمة هنا، للإشارة إلى جلالة الفعل، والتأكيد على الاعتناء بأمر الخبر؛ أو لرد الإنكار.

فإن الكفرة كانوا يقولون: (إِنْ هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا، نَمُوتُ وَنَحْيا وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) [المؤمنون: ٣٧]، فرد عليهم: إنا نحن نحيي الأموات جميعا، ببعثهم يوم القيامة، وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا، إي: ما أسلفوه من الأعمال الصالحة؛ والطالحة، وَآثارَهُمْ التي أبقوها بعدهم...."[1].

من خلال ما تقدم نستنتج بأن إعراب نحن هنا:

١ـ توكيد للضمير المتصل نا، وحصر، وقصر، وتوكيد المنصوب؛ منصوب مثله.

٢ـ خبر لـ إنّ، مرفوع ، وشاهده قول الشاعر: أنا أبو النجم وشعري شعري، فشعر الأولى مبتدأ مرفوع، وشعر الثانية خبر مرفوع، وليست توكيدا لفظيا، وهذا من باب الاعتداد بالنفس، والثقة بها، ومدحها.

٣ـ مبتدأ مرفوع، خبره جملة الفعل نزلنا، والمبتدأ نحنُ، والخبر نزلنا، جملة في محل رفع خبر إن.

فلما كان السياق سياق إحياء للموتى، وكتابة لكل ما عملوا؛ من خير؛ أو شر، وما تركوه وراءهم من أثر؛ سيكون لهم؛ أو عليهم، إلى يوم القيامة، وإحصاء لكل صغيرة وكبيرة، في كتاب إمام دقيق واضح، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وملائكة كتبة حفظة؛ لا يغفلون عن شيء، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون..

وبعدها قيامة وحساب وعذاب وجنة ونار، بأمر ورعاية وعناية ومقام وإشراف وتدبير القوي العزيز الجبار المتكبر، الرحيم الغفور.. الله جل جلاله، فاقتضى ذلك استخدام: إنّا نحن نحيي .. ونكتب .. وكل شيء أحصينا.. أمور عظيمة لا يستطيعها أحد إلا الله، فقال: إنا نحن، ولا أحد غيرنا..

---

[1] الآلوسي، روح المعاني، ج١١، ص٣٩٠.

الخاتمة، وأهم النتائج

١- يأتي ضمير العظمة نحن لبيان الهيبة والمكانة العالية، وإظهار التوقير والفضل والتميز على غيره.
٢- ضمير العظمة نحن في القرآن الكريم يأتي في مقام تعظيم الله لنفسه وفي مقام الإلحاح إلى جنوده وملائكته الذين يعملون بأمره ما يشاء.
٣- الله سبحانه وتعالى حينما يتكلم عن نفسه وذاته، يأتي بأساليب كثيرة: فمرة يأتي بأسلوب الجمع، كما في قوله: (إِنَّا نَحْنُ)، يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ:
أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ مُبْتَدَأً وَخَبَرًا، كَقَوْلِ الْشاعر:
أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي .
وكقول القائل: أنا فلان، أو أنا أبو فلان، أو أنا أخو فلانة، أنا ابن فلانة.. من باب التنخي، كقول الحجاج:
أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا..
وَمِثْلُ هَذَا يُقَالُ عِنْدَ الشُّهْرَةِ الْعَظِيمَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ لَا يُعْرَفُ، يُقَالُ لَهُ مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا فلان ابْنُ فُلَانٍ ابن فلان، فَيُعْرَفُ. وَلِأَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا قَالَ: إِنَّا نَحْنُ وَذَلِكَ يُفِيدُ الْعَظَمَةَ وَالْجَبَرُوتَ، وَالْإِحْيَاءُ عَظِيمٌ، يَخْتَصُّ بِاللَّهِ، وَالْكِتَابَةُ دُونَهُ، فَقَرَنَ بِالتَّعْرِيفِ الْأَمْرَ الْعَظِيمَ، وَذَكَرَ مَا يُعَظِّمُ ذَلِكَ الْعَظِيمَ..."
وَمَنْ يَكُونُ مَشْهُورًا؛ إِذَا قِيلَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ يَقُولُ: أَنَا، أَيْ لَا مُعَرِّفَ لِي أَظْهَرُ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ: (إِنَّا نَحْنُ) مَعْرُوفُونَ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ.
٤- وفي قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكر وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩]، لم يقل: أنا أنزلت، يقول النحاة: «النون للتعظيم» فكل شيء يكون نتيجة فعل من أفعال الله، تأتيه «نون التعظيم».
٥- وْقولُهُ: "{فَأَخْرَجْنا} بصِيغَةُ الْجَمْعِ." واللَّه وَاحِدٌ فَرْدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَّا أَنَّ الْمَلِكَ الْعَظِيمَ إِذَا كَنَّى عَنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّمَا يُكَنِّي بِصِيغَةِ الْجَمْعِ، فَكَذَلِكَ هَهُنَا.
٦- فحينما يتحدث عن فِعْله؛ أو عمله، يتحدث بصيغة الجمع، كما في قوله عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القدر} [القدر: ١]، {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكر} ، [الحجر : ٩] ، {إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأرض وَمَنْ عَلَيْهَا}، [مريم: ٤٠]، لأنه ـ سبحانه ـ حين يصنع شيئاً لخلقه من متعة أو من نعيم، يورد صفات كثيرة، لأن الفعل والعمل

يحتاج إلى صفات متعددة، وإمكانات شتَّى، وإرادة تريده، وقدرة للإبراز، وعلما لترتيب النعمة، وقدرة على تنفيذه؛ وتدبيرا وإمكانات وعلم وحكمة، وبسطا، لأن الصفات تتكاتف لتعمل الخير.

٧- الحق تبارك وتعالى حينما يتحدَّث عن ذاته، في الربوبية؛ والألوهية؛ والعبادة؛ والتوحيد، يتحدث بضمير المفرد، ولا يأتي بضمير الجمع أبداً؛ لأنه يريد أن ينفي عن ذاته أنه متعدد؛ لأنه هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا شريك له، فيقول: {إنني أَنَا الله لا إله إلا أَنَاْ فاعبدني وَأَقِمِ الصلاة لذكري} [طه : ١٤]. لكنه حين يتكلم عن ذاته مجرداً عن الفعل، فإنه يتكلم بالوحدانية، مثل قوله الحق: {إنني أَنَا الله لا إله إلا أَنَاْ فاعبدني} [طه: ١٤]، وكذلك قوله الحق: {وَأَنَا اخترتك فاستمع لِمَا يوحى} [طه: ١٣] . "

ففي مجال التعظيم والتنزيل الذي يتطلب تجلي كثير من صفاته - جل شأنه - يأتي بضمير الجمع، وفي التوحيد والتفرد ونفي الشريك، يأتي بضمير الإفراد، وهكذا نرى إحكام الأداء القرآني "

٨- تعظيم الله لنفسه وفي مقام الإلحاح إلى جنوده وملائكته الذين يعملون بأمره ما يشاء.

٩- هناك نقطة مهمة أهملها المفسرون ولم يلتفتوا إليها، وهي أن الله عندما يتحدث بصيغة الجماعة، فهو يشمل أيضا التعريض بفعل جنوده، ويعطيهم من المكانة ما يستحقون، ويشركهم في ما يعمل، قال تعالى: {وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ٨٠ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا} [الكهف٨٠/٨١].

فقال في قتل الغلام: (فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما)، فجاء بالضمير مشتركا، لأن العمل مشترك، فإن فيه قتل غلام، وهو في ظاهر الأمر شر، وإبدال خير منه، وهو خير، فجاء بالضمير المشترك للعمل المشترك.[١]

[١] د. فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، مكتبة أنوار دجلة، بغداد، ط٢، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

وعندما يقول: (إنا نحن نزلنا الذكر): يعرِّض بفضل جبريل، والقرآن، والرسول.. وإنا له لحافظون: أنا أحفظه، وأنتم تحفظونه، وهو يحفظكم، ويحفظني عندكم، ويعينكم على حفظي، وحفظ أنفسكم، وكلُنا يحفظ كلَنا..

المراجع والمصادر

١- الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ط.١. شهاب الدين، المحقق: علي عبد الباري عطية. دار الكتب العلمية – بيروت.

٢- أبو بكر بن أبي شيبة، الأدب، عبد الله بن محمد بن إبراهيم، ت: ٢٣٥هـ، تح: د. محمد رضا القهوجي، دار البشائر الإسلامية – لبنان، ط:١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣- أبو تمام، شرح ديوان الحماسة، أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، دار الكتب العلمية، ١٤٩٨هـ .

٤- أبو حيان، البحر المحيط، ١٤٢٠، دار الفكر – بيروت. تحقيق: صدقي محمد جميل.

٥- أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، محمد بن أبي الخطاب، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، دار نهضة مصر للطباعة.

٦- أبو النجم العجلي، الديوان، تحقيق: محمد أديب، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٧٢هـ٢٠٠٦م.

٧- أبو هلال العسكري، الصناعتين، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، ت ٣٩٥هـ ، المحقق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية - بيروت ١٤١٩هـ.

٨- ابن أجُرُّوم، شرح الأجرومية، محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، أبو عبد الله ت: ٧٢٣هـ، شرح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير.

٩- ابن تيمية، التحفة المهدية، شرح الرسالة التدمرية، فالح بن مهدي آل مهدي، تصحيح وتعليق: د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار الوطن، الرياض.

١٠-ابن تيميه، دقائق التفسير، الجامع لتفسير محمد السيد الجنيد، مؤسسة علوم القرآن بدمشق، ط٢ ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
١١-ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، تقي الدين، ١٤٠٨- ١٩٨٧، ط ١، دار الكتب العلمية.
١٢-ابن جني، الخصائص، لأبي الفتح، عثمان، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية.
١٣-ابن السراج، الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت.
١٤-ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١٥-ابن عبد ربه، العقد الفريد، شهاب الدين أحمد، الأندلسي، ١٤٠٤، دار الكتب العلمية ط١– بيروت.
١٦-ابن قتيبة الدينوري، أدب الكتّاب، أبو محمد عبد الله بن مسلم، المتوفى: ٢٧٦هـ ، المحقق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م.
١٧-ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، محمد بن عبد الله، الطائي الجياني، جمال الدين، تح: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ -١٩٦٧م.
١٨-ابن مالك، شرح تسهيل الفوائد، محمد بن عبد الله، الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، ت: ٦٧٢هـ، تح: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، ط:١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
١٩-ابن هشام، مغني اللبيب، عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد أبو محمد، جمال الدين، ت: ٧٦١هـ، تح: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.
٢٠-ابن يعيش، شرح المفصل، موفق الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
٢١-البخاري، الصحيح، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١ ، ١٤٢٣، ٢٠٠٢م، باب التفسير ١٢٦٤.

٢٢-الخوارزمي، مفيد العلوم، ومبيد الهموم، أبو بكر، ١٤١٨، المكتبة العصرية، بيروت.
٢٣-الرازي مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، محمد (ت ٦٠٦ هـ)، ط١، ١٤٠١ه-١٩٨١م، دار الفكر.
٢٤-الرضي، الشرح على الكافية، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، بن غازي، ط٢، ١٩٩٦م.
٢٥-الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم، ١٤٠٧، ط. ٣ عدد الأجزاء. ٤ .دار الكتاب العربي – بيروت.
٢٦-سيبويه، الكتاب، أبو بشر؛ عمرو بن عثمان بن قنبر ، سيبويه؛ ت: ١٨٠هـ، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨-١٩٨٨.
٢٧-السيوطي، شرح شواهد المغني، ت ٩١١هـ ، جلال الدين، تحقيق، محمد محمود الشنقيطي، جمع وطبع، لجنة التراث العربي.
٢٨-السيوطي، الديباج على صحيح مسلم، جلال الدين بن الحجاج، عبد الرحمن أبو بكر.
٢٩-السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، ت: ٩١١هـ، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر.
٣٠-الشريف المرتضى، أمالي المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة: عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٣هـ، ١٩٥٤م.
٣١-الشعراوي، خواطر– محمد، ١٩٩٧، مطابع أخبار اليوم، عدد الأجزاء٢٠.
٣٢-طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط١، المغرب، ١٩٩٨م .
٣٣-عباس حسن، النحو الوافي ت: ١٣٩٨هـ، دار المعارف، ط١٥.
٣٤-عبد الغني الدقر، معجم القواعد العربية في النحو والتصريف، ، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

٣٥-عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ت: ١٣٩١هـ ، مكتبة الآداب، ط:١٧ سنة:١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.
٣٦-عبد المجيد ياسين الحميدي، سورة الكوثر تفسير وتحليل وتأويل، دار عبادي للنشر، صنعاء اليمن، ٢٠٠٤م.
٣٧-فاضل السامرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٤م ومكتبة أنوار دجلة، بغداد، ط٢، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.
٣٨-الفراء، معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، ت: ٢٠٧هـ،عالم الكتب، ط٣، بيروت ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٣٩-محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
٤٠-المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، أبو عبيد الله بن محمد.
٤١-مصطفى أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٤٢-النحاس، عمدة الكتَّاب، أبو جعفر، أحمد بن محمد، ت: ٣٣٨هـ، تح: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم - الجفان والجابي للطباعة والنشر، ط١ ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.

الفهرست

المقدمة ١٦٩
المبحث الأول: الضمير (نحن) في اللغة ١٧١
١ـ نحن: ضمير منفصل ١٧١
٢ـ نحن: ضمير فصل ١٧٥
شروط ضمير الفصل ١٧٨
"إعراب ضمير الفصل ١٧٩
للاختصاص ١٨٠
علة بنائه على الضم ١٨٤
المبحث الثاني: الضمير نحن في القرآن الكريم ١٨٥
الآيات التي وردت في القرآن الكريم: ١٨٦
استعمالات الضمير(نحن) للتعظيم والتفخيم ١٨٨
مجيؤه بعد إن التوكيدية، ونا (إنَّا نحنُ): ١٨٩
{إنا نحن} فيه إشارة إلى التوحيد ١٩١
الخاتمة، وأهم النتائج ٢٠٥
المراجع والمصادر ٢٠٧